

٥

آيات الإيمان بالآخرة

تأليف

عبد المنعم أحمد تعيلب

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته وسار على ملته الى يوم الدين·

أما بعد :

فبعون من الله تعالى وفضل ، أتابع الجهد في تفسير القرآن الحكيم وأقدم الكتاب الخامس :

آيـــات الايمـــان بالآخـــرة

واسير فيه على المنهاج المرتضى ـ ان شاء الله ـ أورد الايات المتضمنة حالا من احوال الآخرة متتابعة على نسق ترتيبها في المصحف الشريف ، ثم أفسرها بالايات الأخرى من كتاب الله ثم بما صح عن سيدنا رسول الله، ثم بما ثبت من اراء الصحب الكرام والائمة الاعلام ، ثم بما يفتح الله تعالى به من فهم ـ نسأله سبحانه ان يبلغ به القصد ، وأن يجعله زيادة في الهدى وتثبيتا على الرشد ـ وهكذا في سائر منازل الآخرة منذ فراق الارواح للأجساد ، وحتى لقاء الله يوم التناد ، وإلى أن يحكم الله بين العباد ·

فاللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ·

اللهم آمين ·

المؤلف

اقسام الكتاب

الباب الاول : البرزخ

الباب الثاني : القارعة

الباب الثالث : القيامة

- الفصل الاول : **النشور**
- الفصل الثاني : **الحشر**
- الفصل الثالث: **الحساب**
- الفصل الرابع: **الجـزاء**

الخاتمـــــة : **الصراط والشفاعة**

البَابُ الأوَّل

البرزخ

ما تضمنه الباب الأول من آيات

رقم الصحيفة	
٧	من الآية ٦١ من [الأنعام] ومن الآية ١١ من [السجدة] ومن الآية ٩٣ من [الأنعام] .
٨	من الآية ٥٠ من [الأنفال] ومن الآية ٢٧ من [إبراهيم] .
٩	من الآية ٣٢ من [النحل] ومن الآية ١٠٠ من [المؤمنون] ومن الآيتين ٣٠ ، ٣١ من [فصلت] .
١٠	الآية ٢٦ من [الرحمن] والآيات من ١٦٩–١٧١ من [آل عمران] ومن الآية ٤٥ والآية ٤٦ من [غافر] .

..حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا

حين تحين آجالنا تتوفانا ملائكة موكلون بقبض الارواح ٠

يقول الطبري : فان قال قائل : أوليس قد قال الله : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ٠٠) ١) ؟ قيل : جائز ان يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده ، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت ، فيكون التوفي مضافا ـ وان كان ذلك من أعوان ملك الموت ـ الى ملك الموت ، اذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره ، كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان ، وجلد من جلدوه بأمر السلطان الى السلطان ، وان لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ، ولاوليه بيده ٠٠ اهـ ٠

ويقول النيسابوري : (٠٠ توفته رسلنا ٠٠) اي باذننا وتفويضنا ، فالمتوفى بالحقيقة هو الله تعالى ٠٠ اهـ

وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

بمعنى : وهم لا يضيعون ، ولا يتوانّوْن ولا يقصرون ٠

* * *

.. وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ.. ﴿٩٣﴾

لو عاينت حال الظالمين حين تفجـــــاهم غمرات الموت وشـدائده ومكارهه ، وعندما تعشاهم سكراته وكرباته ، لرايت ما يهول ، فالملائكة مبسوطة أيديهم وممدودة بضرب هذا المحتضر يصيحون بـه أن أخـرج روحك من جسدك ! ودون امهال ، تشديدا عليه في ازهاق روحه ، او خلص نفسك من العذاب ان أمكنك ! وهو جار مجرى التوبيخ ٠

يقول صاحب جامع البيان : (أخرجوا أنفسكم) اي أخرجوها كرها، لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربها ، وروح الكافر تنتزع انتزاعـــا شديدا ٠٠اهـ

وفي هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ٠٠» ٢) ٠

١- سورة السجدة ٠ من الاية ١١ ٠ ٢- رواه مسلم عن عبادة بن الصامت ٠

من سورة الانفال

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ..﴾ (٥٠)

ولو تعاين يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرايت امــرا فظيعا هائلا ! تنتزع أرواحهم من جسومهم بضرب وجوههم والأستاه ، ١) ولكن الله كريم يكني ، وتخصيص العضوين بالضرب لمزيد من الإهانة والاذلال ٠

من سورة ابراهيم

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ..﴾ (٢٧)

يوفق الله المؤمنين ، ويديم امنهم وهدايتهم ، في الأولى والعقبى ، بسبب ثباتهم على القول الحق : لا آله الا الله ، محمد رسول الله ، فهم في العاجلة لا يثنيهم عن الطريق القويم صارف ، ولا يفتنهم عن صــراط ربهم بغى ولا بلاء ، ولا تلهيهم الزخارف ، وفي البرزخ يصـــيبون ولا يخطئون حين يسالون ٠

وانما يطلق على الحياة البرزخية [آخرة] باعتبارها لا تكليف فيها، وهي فاصل بين الحياة الدنيوية الزائلة ، وبين الحياة الباقية الخالدة ٠

في الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى اللـــه عليه وسلم قال : « اذا أقعد المؤمن في قبره اتى ثم شهد أن لا آله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) » ٠

١- مخارج الغائط [فتحة الشرج] ٠

من سورة النحل

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ..﴾ (٣٢)

يبشر الله المتقين بطيب المآب ، وحسن الثواب ، وتنفيس الكربات ، وتهوين السكرات عند الممات ، وهكذا يتوفّى الله اهل التقوى وفاة طيبة سهلة ، لا صعوبة فيها ولا الم ·

من سورة المؤمنون

﴿..وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠)

من خلف الذين يموتون ، او بين ايديهم ومن امامهم فاصل بين الموت والبعث ، بقية الدنيا ·

قال الجوهري : البرزخ الحاجز بين الشيئين ، والبرزخ : ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى وقت البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ ·

ونقل القرطبي ما نَصّه : وقال رجل بحضرة الشعبي : رحم الله فلانا ! صار من اهل الآخرة · فقال : لم يصر من اهل الآخرة ، ولكنه صار من اهل البرزخ ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة ·

وأورد الطبري بسنده عن ابي يوسف قال : خرجت مع ابي امامة في جنازة ، فلما وضعت في لحدها قال ابو امامة : هذا برزخ إلى يوم يبعثون·

من سورة فصلت

﴿..تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ..﴾ (٣٠)

تحضرهم طوائف من الملائكة يقولون : لا تخافوا ما تقدمون عليه بعد مماتكم ، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من اهل وولد ، فإنّا نخلفكم في ذلك كله ·

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..﴾ (٣١)

من جملة قول الملائكة الذين ينزلون على هؤلاء المؤمنين حالة اللحوق بربهم : نحن اولياؤكم ، نتولاكم بالحفظ في الاولى وفي العقبى ، كنا قرناءكم في الدنيا نسددكم ونوفقكم بأمر الله ، وكذلك نكون معكم في

الآخرة ـ في البرزخ واليوم الآخر ـ نؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط ، ونوصلكم الى الجنات ٠

يقول النيسابوري :٠٠ واذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم المناسبة النورية ١) كانت بعد الموت أقوى وأظهر ، لزوال العلائق الجسمانية ٠

من سورة الرحمن

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦)

كل من على الارض من إنس وجن وخلق يدركه الموت لا محالة ، والفناء الذي تخبر عنه الاية ليس يعني العدم المحض ، لا بالنسبة الى الأبرار ، ولا بالنسبة الى الكفرة والفجار ، اذ بين القرآن الكريم أن الشهداء في برزخهم لن يتركوا سدى ، ولن يذهبوا هباء ، إن همود اجسامهم لا يتنافى مع ما حباهم ربهم من خواص الحياة البرزخية المكينة، فيجري عليهم ارزاقهم ، وييسر خواطرهم ويصلح بالهم كما جاء في الآيات المحكمات : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ٠ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) ٢) ٠

والموتى من الكفار ، يحيون في برزخهم حياة بئيسة اليمة ، يقول الله جل علاه : (٠٠ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٠ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) ٣)

كما جاء في الصحيحين عن أبي طلحة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي ٤) من أطواء بدر ، خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم اقام

---

١ ـ بين الملك وبين المؤمن رباط النورانية في كل منهما ، فنور الايمان في الآدمي يربطه بالملك الذي هو نوراني ٠

٢ ـ سورة آل عمران الايات من ١٦٩ الى ١٧١ ٠

٣ ـ سورة غافر ٠ من الاية ٤٥ ، والاية ٤٦ ٠

٤ ـ طوى : بئر غير مبنية ٠

بالعرصة ١) ثلاث ليال . فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشُدّ عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه اصحابه ، وقالوا : ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الركى ٢) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء ابائهم : « يا فلان بن فلان ! ويا فلان بن فلان ! أيسركم انكم اطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » قال : فقال عمر : يا رسول الله ! ما تكلم من اجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ! ما انتم بأسمع لما اقول منهم » كما أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : خرج ٣) النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت ٤) الشمس ، فسمع صوتا ، فقال : « يهود ٥) تعذب في قبورها».

وعامة الموتى أحياء في قبورهم حياة برزخية . روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ٦) إن كان من أهل الجنة فمن ٧) أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ٨) ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » .

وامتن الله سبحانه على الإنس والجن بالموت حيث جاء بعد الآية التي نتعرض الآن لتفسيرها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ٩) ربما لأنه نقلة من دار البلاء ، ولأنه شفاء لما في الصدور بما يمضيه الله تبارك وتعالى من حكيم الجزاء .

---

١ – بأرض المعركة.

٢ – البئر الغير المبنية .

٣ – خرج الى ظاهر المدينة وخارجها .

٤ – وجبت الشمس : سقطت وغربت .

٥ – يهود : مبتدأ وخبره الجملة بعده ، او خبر والتقدير هؤلاء يهود يعذبون . ولم ينون للعلمية والتأنيث .

٦ – الغداة : من طلوع الشمس حتى تصير وسط السماء – رأى العين – والعشى : من الظهيرة الى الغروب .

٧ – التقدير : فالمعروض عليه من مقاعد أهل الجنة .

٨ – التقدير : وان كان من أهل النار فالمعروض عليه من مقاعد اهل النار ، وحذف جواب الشرط من الثاني لدلالة الاول عليه وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة » .

٩ – اي : بأي نعم ربكما يا معشر الانس والجن تكذبان ؟ أسلوب صورته استفهام ، ويراد به : أقرّا بنعم ربكما ولا تجحدا .

ما تضمنه الباب الأول من أحاديث



الباب الثاني

القارعــــة

ما تضمنه الباب الثاني من آيات وأحاديث

من سورة الاعراف

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا

يخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ويخبره بسؤال قومه له عن ساعة انتهاء الحياة على هذا الكوكب وما حوله من كواكب، ومتى تتوقف انماط هذا الوجود ونواميسه ؟ وأية لحظة تقع فيها تلك الداهية ؟.

مما أورد ابن كثير : وكانوا يسالون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها ، وتكذيبا بمجيئها ، كما قال تعالى : (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ..) ١) .

ومما نقل الحسن النيسابوري : ... سميت القيامة ساعة ..لأنها على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ، و (أيان) استفهام عن الزمان، ويختص بالأمور العظام نحو : (أيان مرساها) ٢) و (.. ايان يوم الدين) ٣) والمرسى بمعنى الارساء .. والرسو : الثبات والاستقرار ، ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ، ومنه : رسا الجبل ، وأرست السفينة اهـ

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ

استأثر الله تعالى بعلم موعد قيام الساعة ، فلم يُظهر ولم يطلع أحدا على ميقاتها ، فلا خاتم النبيين ، عليه الصلوات والتسليم ، ولا مقدّم الملائكة المقربين – جبريل أمين وحي ربنا العليم – علّما او علما موعدها.
في الصحيح – حين جاء جبريل الى النبي في صورة آدمي – وسأله : يا محمد ! متى الساعة ؟ فقال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » .

وهكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يرد علم مجيء هذه القارعة وظهورها الى الله تعالى وحده ، كما خاطبه القرآن الكريم :(فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها) ٤) .

---

١ – سورة الشورى . من الآية ١٨ .
٢ – سورة النازعات . من الاية ٤٢ .
٣ – سورة الذاريات . من الآية ١٢ .
٤ – سورة النازعات . الآيتان : ٤٣ ، ٤٤ .

فهو سبحانه وحده العليم بميقاتها ٠

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (١٨٧)

خفى علم الحاقّة على أهل السموات والأرض فثقل أمرها عليهم لعجزهم عن معرفة أوانها ٠ ونبأنا العليم ـ جل علاه ـ أنها لن تجيء الا فجأة ، تباغت الخلق وتأتيهم على حين غفلة منهم ٠

يقول الله تبارك وتعالى : (٠٠ وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ٠٠) ١) (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) ٢) ٠

أورد الحافظ ابن كثير عن البخاري بسنده عن أبي هريرة حديثا جاء فيه : « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » ٠

من سورة النمل

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾

عندما يحين الوقت الذي علم الله انه لن تنفتح بعده قلوب للهدى والاسلام تجيء علامات الساعة ، ومنها ان تنشق الارض عن دابة ينطقها الله الذي أنطق كل شيء بامره وارادته ـ وتخبر الناس أن الجاحدين في شك من قدرة الله وصدق وعده ، وتردد في قبول آياته وعلامات لقائه ، فحقت كلمة ربنا : انه لن يؤمن الا من قد آمن ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم (٠٠ يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها ٣) لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ٠٠) ٤) ٠

---

١ ـ سورة النحل ٠ من الآية ٧٧ ٠ ٢ ـ سورة القمر ٠ الآية ٥٠ ٠

٣ ـ في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها (لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها والدجال ، ودابة الارض » ٠

٤ ـ سورة الاعراف ٠ من الآية ١٥٨ ٠

أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بسنده ـ من ثلاث طرق ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما : خروج هذه الدابة حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، كما نقل عن ابن عطية ١) : اذا لم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا ٠٠ اهـ ٠

ويقول الحسن النيسابوري : (واذا وقع القول) أي دنا وشارف أن يحصل مؤداه ومفهومه (عليهم) وهو ما وعدوا به من قيام الساعة ، والعذاب ٠٠اهـ ٠

نقل الحافظ ابو عبد الله القرطبي ٢) كما نقل صاحب جامع البيان . وصاحب تفسير القران العظيم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة ٣) ٠

وقديما ذهب البعض الى أن هذه الدابة ربما تكون انسانا متكلما يناظر أهل البدع والكفر ٠ ورد عليهم أبو العباس القرطبي بما حاصله : ان هذا يؤدي الى ان الدابة ليست آية خاصة خارقة للعادة ، وترتفع خصوصية وجودها اذا وقع القول ، ثم فيه العدول عن تسمية هذاالانسان المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض أن يسموه باسم الانسان أو بالعالم او بالامام الى ان يسمى بدابة ، وهذا خروج عن عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء ، وليس ذلك دأب العقلاء ٠٠ اهـ ٠

أقول ، وفي ذلك صرف للقرآن الكريم عن ظاهره ، ومجافاة للحديث الصحيح الصريح الذي رواه الامام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : اطّلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال : « ما تذاكرون » ؟ قالوا : نذكر الساعة ٠ قال : « انها لن تقوم حتى

---

١ ـ هو ابن عطية العوفي الراوي عن ابن عمر ٠

٢ ـ وأخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده ٠

٣ ـ ومما جاء فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم بينما الناس في اعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو بين الركن والمقام ، تنفض عن رأسها التراب ، فارفض الناس منها شتى ومعا ، وتثبت عصابة من المؤمنين ، وعرفوا انهم لم يعجزوا الله ،فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري ، وولت في الارض لا يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان ! الان تصلي : فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطلحون في الامصار يعرف المؤمن من الكافر ، حتى ان المؤمن ليقول : يا كافر ! اقضني حقي ، وحتى ان الكافر ليقول: يا مؤمن اقضني حقي » اهـ٠

تروا قبلها عشر آيات [فذكر] : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نـار تخرج من اليمن تطرد الناس من محشرهم » ٠

﴿ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٨٢)

تخبرهم ان الكافر والفاجر يجادل في الحق بعدما تبيّن،ويرتـاب فيما يصنع الله من دلائل عجيبة ـ منها خروج الدابة ـ وإنما جاء فيما حكاه القرآن (باياتنا) اي بايات ربنا فحذف المضاف ٠ او سبب الاضافة اختصاصها بالله ، كما يقول بعض خاصّة الملك : خيلنا وبلادنا ، وإنما هي خيل مولاه وبلاده ، ولله المثل الأعلى ٠

من سورة الحاقة

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ (١٣)

اذا جاء وعد الله الحق ، وانقضى أجل الدنيا ، وحانت ساعة تبديل الكون كله أمر الله الموكل بالصور ان ينفخ فيه ، فينفخ ، فيفنى كل شيء الا الله ، ويهلك كل حي الا الباقي سبحانه ٠

والصور : قرن من نور ينفخ فيه نفختان ، النفخة الاولى للفناء ، والثانية لإعادة الاحياء ٠ ١) ٠

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو : « ٠٠٠ ثـم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا أصغى ٢) ليتا ، ورفع ليتا ٣) ـ قال ـ وأول من يسمعه رجل يلوط ٤) حوض ابله ـ قال ـ فيصـعق ٥) ويصعق الناس ٠٠ » ٠

يقول القرطبي : والامم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصـور اسرافيل عليه السلام ٠ اهـ ٠

---

١ ـ بدليل قول الله تبارك وتعالى : (٠٠ ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) من الآية ٦٨ من سورة الزمر ٠

٢ ـ أمال ٠

٣ ـ ليتا : جانبا من صفحة عنقه ٠

٤ ـ يلوط حوض ابله : يعني يطليه بالطين ٠

٥ ـ يهلك ويموت ٠

لكنه نقل أقوالا أخرى : انه يكون معه جبريل ، أو يكون معهما ميكائيل ، او ومعهم ملك الموت ١) ٠

وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ

الواو لمجرد العطف لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا ، فليس بلازم ألا تدك الارض والجبال الا بعد النفخة ٠

(وحملت) ربما تكون بمعنى : رفعت من أماكنها ليطوّح بها فتتفتت وتتكسر ، ويشير الى ذلك قول الله جل علاه : (اذا رجّت الارض رجّا ٠ وبست الجبال بسّا ٠ فكانت هباء منبثّا) ٢) ٠

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً (١٤)

فحركتا من أماكنهما وزلزلتا أعظم زلزال حتى يستحيل الصخر الى هباء – وهو الشعاع الذي يكون في الكوة كالغبار – منبث منتشر متفرق ، وذاك هو الزلزال الاول عند خراب الدنيا (يوم ترجف الراجفة) ٣) ٠

ومما جاء في سورة القارعة : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) ٤) كالصوف المندوف المتطاير المتناثر ثم تستحيل الى سراب ٠

قال الفراء : لم يقل : فدككن ، لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة ، والارض كالجملة الواحدة ، ومثله: (٠٠ أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ٠٠) ٥) ٠

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١٥)

---

١ – وساق لكل قول حديثا للاستشهاد على أصالته ، لكن أيا منها لم يبلغ درجة الصحة ، ومسائل الاعتقاد لا يعول فيها الا على الصحيح ٠

٢ – سورة الواقعة : الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ ٠

٣ – سورة النازعات ٠ الآية ٦ ٠

٤ – الآية ٥ ٠

٥ – سورة الانبياء ٠ من الآية ٣٠ ٠

فهذا يوم الساعة ، وما أعسره ! يوم تكوّر الشمس ويرمى بهـــا وتتناثر النجوم متهافتة متهاوية ، وتتشابك البحار وتختلط مشتعلة ، فما داهية أشد على الناس من تلك الداهية ! ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء » ١) ٠

وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦)

تتصدع السماء وتتمزق ، وتتداعى وتسقط ، وتتوهج وتنصهر ، كما شهدت بذلك الآية الكريمة : (فاذا انشقت السماء فكـــانت وردة كالدهان) ٢) أي تصير في حمرة الورد وجريان الدهن ٠ وفي سورة المعارج : (يوم تكون السماء كالمهل) ٣) كدردي الزيت وعكره ــ في قول ابن عباس ــ أو ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة ــ كما جاء عن ابن مسعود ٠



---

١ ــ رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ٠

٢ ــ سورة الرحمن ٠ الآية ٣٧ ٠

٣ ــ الآية ٨ ٠

الباب الثالث

القيامة

الفصل الاول

النشور

ما تضمنه الفصل الأول من آيات

من سورة الاسراء

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ

يوم النشأة الاخرى ، وإعادة الموتى أحياء ، يدعى الخلق من قبل الخلاق العليم الذي أنشأنا أول مرة ،فاذا اللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة والعظام النخرة تجتمع بقدرة الله التي لا يعجزها شيء (٠٠ وهو أهون عليه ٠٠) ١) (إنما قولنا لشيء إذا اردناه أن نقول له كن فيكون) ٢)٠

ويهب الناس وقد أنشروا من قبورهم ، وبعثوا من مراقدهم ، يلبّون دعوة الله الواحد القهار ٠

والاجابة : الطاعة ٠ والاستجابة : المسارعة اليها ٠

نقل الحسن النيسابوري : ٠٠ والدعوة والاستجابة كلاهما مجاز ، والمعنى : يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين ٠٠ وقال سعيد بن جبير : يخرجون من قبورهم ، وينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ٠٠٠ ومن هنا قال بعضهم : حمدوا حين لاينفعهم الحمد٠اهـ يريد الكفار ٣) ٠

كما نقل محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختم به ، قال الله تعالى : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ٠٠) وقال في آخره : (٠٠ وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله ربالعالمين) ٤)

وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

عن قتادة : تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الاخرة ٠

وعن الحسن : معناه تقريب وقت البعث ، وكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالاخرة لم تزل ٠

اقول : بين كتاب الله العزيز في اكثر من آية ان الكفار والفجـار يتقالّون مقامهم في الدنيا ومكثهم فيها وان مُتِعوا وأُترِفوا ٠ وحين ينادون في الاخرة : (٠٠ كم لبثتم في الارض عدد سنين ٥) يجيبون بما حكاه

---

١ ـ سورة الروم ٠ من الاية ٢٧ وأولها : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)٠

٢ ـ سورة النحل : الاية ٤٠

٣ ـ نقل صاحب الجامع لاحكام القران عن سعيد بن جبيرتخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم ٠

٤ ـ سورة الزمر ٠ من الاية ٧٥ ٠   ٥ ـ سورة المؤمنون ٠ من الاية ١١٢ ٠

عنهم الذكر الحكيم :(قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ٠٠) ١) بل يحلف اهل الشرور والفجور انهم ما عاشوا الا زمنا يسيرا : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ٠٠) ٢) ٠

فاللهم آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ٠

من سورة يس

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾

يأمر الله تعالى من ينفخ في الصور ان ينفخ فيه ثانية بعد التي أماتت الخلق فاذا هم بقدرة الله تعالى قد ردت اليهم أرواحهم ، وتكاملت أجسادهم ، وبعثوا من قبورهم ، جاء ذلك في قول الله الحق جلت عظمته: (٠٠ ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) ٣) واكدته الاية الكريمة الثانية : (٠٠ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) ٤)٠ فاذا هم من القبور الى مليكهم ومربيهم ووليهم ـ المستحق للطاعة ـ يركضون ويعدون ، لا يملكون التأبي على أمره ـ عز وتقدس ـ والى هذا يشير القرآن الكريم : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ٠٠) ٥) ٠

والفاء تفيد الترتيب والاتصال بين ما بعدها وما قبلها و (اذا) للمفاجأة ٠

وعلى هذا فالمعنى أن النفخ يعقبه ـ بدون فاصل ـ ان تركب الابدان، وتعاد الارواح ، وتشقق القبور ، ويهرع الخلق الى ملاقاة الحق تبارك وتعالى : (يوم يخرجون من الاجداث سراعا ٠٠) ٦) متجهين الى حيث يجمعهم الله : (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) ٧) (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) ٨) ٠

---

١ ـ سورة المؤمنون ٠ من الاية ١١٣ ٠
٢ ـ سورة الروم ٠ من الاية ٥٥ ٠
٣ ـ سورة الزمر ٠ من الاية ٦٨ ٠
٤ ـ سورة الانبياء ٠ من الاية ١٠٤ ٠
٥ ـ سورة الاسراء ٠ من الاية ٥٢ ٠
٦ ـ سورة المعارج ٠ من الاية ٤٣ ٠
٧ ـ سورة يس ٠ الاية ٥٣ ٠
٨ ـ سورة القمر ٠ الاية ٥٠٠

والاجداث : جمع جدث ، وهو القبر · والنسل : العدو وسرعة المشي · ومنه قول الله جل علاه : (·· يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعن الى الداع ··) [1] أي يخرجون من قبورهم منطلقين في خفة وإسراع كانتشار الجراد في الآفاق ، مسرعين إلى إجابة الداعــي دون مخالفة او تأخير : (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون) [2]· والله حسبنا ونعم الوكيل ·

---

١ - سورة القمر · من الايتين ٧ ، ٨ ·

٢ - سورة الصافات · الاية ١٩ ·

الفَصْل الثاني

الحشر

ما تضمنه الفصل الثاني من آيات وأحاديث

ما تضمنه الفصل الثاني من آيات

رقم الصحيفة	
٢٩	الآية ٩ من [آل عمران]
٣٠	الآية ٨٥ من [مريم] ومن الآية ٩٤ من [الأنعام] ومن الآية ٢ من [الحج] .
٣١	الآية ١٠٣ من [الأنبياء] والآيتان ٣٠ ، ٣١ من [فصلت] ومن الآية ٢٧٥ من [البقرة] .
٣٢	الآيتان ٩٣ ، ٩٤ من [مريم] ومن الآية ٤٧ من [الكهف] .
٣٣	الآية ٩٥ من [مريم] والآية ١٨ من [النبأ] ومن الآية ٩٤ من [الأنعام] ومن الآية ٦٨ من [مريم] والآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ من [الصافات] ومن الآيتين ٩٧ ، ٩٨ من [هود] ومن الآية ٧١ من [الإسراء] .

ما تضمنه الفصل الثاني من أحاديث

رقم الصحيفة	
	أ – مما في الصحيين
٣٠	حديث : تحشرون حفاة عراة . .
	حديث : . . . وإن أول الخلائق يكسى . . إبراهيم .
	حديث : يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه .
٣١	حديث : . . ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم .
	حديث : . . يمشيه على وجهه يوم القيامة .
	حديث : يحشر الناس على ثلاث طرائق . .
	ب – مما في غير الصحيحين :
٣٤ هـ	حديث : يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم . .

من سورة ال عمران

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِ

السعداء العقلاء يُقِرّون بيوم الجمع والتلاق ، ويقولون : يا ربنا إنك باعث الخلق وحاشرهم لشهود يوم ما اشد هوله ! وهو آت لا شك في مجيئه • أو جامع الخلق في يوم واقع لا محالة •

يقول صاحب كتاب جامع البيان : •• وهذا من الكلام الذي استغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره ، وذلك ان معنى الكلام : ربنا انك جامع الناس ليوم القيامة ، فاغفر لنا يومئذ واعف عنا فانك لا تخلف وعدك ان من آمن بك واتبع رسولك ، وعمل بالذي أمرته به في كتابك أنك غافره (1) يومئذ •• فالاية وان كانت قد خرجت مخرج الخبر فإن تأويلها من القوم مسألة ودعاء •• اهـ •

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

قد تكون هذه الجملة من تتمة كلام أولى الالباب المؤمنين ، ولم يرد فيها ضمير المخاطب ـ جل علاه ـ كما في الجملة السابقة التي افتتحت بها الاية (انك) على سبيل الالتفات ـ وهو عند علماء البلاغة : الانتقال من الغيْبة الى الخطاب او من الخطاب الى الغيْبة •• وهكذا • ويكون المعنى : ان الالهية تنافى خلف الميعاد،وحاشا للاله الحق الا ينجز ماوعد•

وجائز ان يكون هذا الكلام تصديقا من الله تعالى لهم فيما قالوه •

نقل الحسن النيسابوري : واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق ـ كما ذهب المعتزلة ـ لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو ، كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل • قال الواحدي : ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء ؟ لان خلف الوعيد كرم عند العرب ، قال بعضهم :

اذا وعد السراء أنجز وعده

وان وعدالضراء فالعفو مانعه

وناظر أبو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد فقال : ما تقول في أصحاب الكبائر ؟ فقال : ان الله وعد وعدا وأوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو

---

1 ـ غافره : ساتره •

منجز وعده . فقال أبو عمرو : انك أعجم ، لا أقول : أعجم اللسان ، ولكن أعجم القلب ، لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما ، وعن الايعاد كرما، وأنشد :

واني وان أوعدته او وعدتـه
لمكذب ايعادي ومنجز موعدي

وذلك ان الوعد حق عليه ، والوعيد حق له ، ومن اسقط حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم ، ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم ، فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد ، على أنا لا نسلم أن الوعيد ثابت جزما من غير شرط ، بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى . اهـ .

من سورة مريم

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾

يوم الحاقة يساق المكلفون انسا وجنّا ، ويقوم الملائكة والروح صفّا، والخلق يفزعون ولا يفوتون (..وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ١) ، تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتبلو كل نفس ما اسلفت ، وتفتقد كل ما كانت ملكت ، فلا مال ولا عيال ، ولا عصبة ولاخلال، وانما كما وصف ربنا ذو الجلال : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم..) ٢) .

وفي الصحيحين ـ صحيحي البخاري ومسلم ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا » ٣) قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال : « الامر اشد من ان يهمهم ذاك » .

كما روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا النبي يخطب فقال : «انكم محشورون حفاة عراة غرلا ـ (كما بدأنا أول خلق نعيده) الاية ـ وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم ..» .

وروينا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يوم يقوم الناس لرب العالمين ، حتى يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه » .

---

١ ـ سورة الانعام . من الاية ٩٤ .
٢ ـ سورة الحج . من الاية ٢ .
٣ ـ غرلا : دون ختان .

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » ٠

أما الذين أطاعوا الله وأحبوه وهابوه وراقبوه فإنه سبحانه سيحشرهم وفدا اليه ، آمنين لا يخافون ، ركبانا لا يمشون ، وهل يفزع الوافدون على الملك الكريم او يتركون يسيرون ؟ لا ! بل يسكن الله روعهم، ويعجل البشرى لهم ، مصداقا لوعده الحق : (لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) ١) وجند من جند الله المكرمين يصحبونهم ، ويرعون شأنهم بإذن ربهم : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ٠ نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) ٢) ٠

وهكذا لن تتساوى أحوال المحشورين ، فلكل درجات مما عملوا ، تحقيقا لعدل احكم الحاكمين : (ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ٠٠) ٣) فأهل الزيغ لا تعتدل لهم يوم الحشر قامة ، وانما كما بين القران (٠٠ لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ٠٠) ٤)،والضالون لا ترتفع منهم يومئذ هامة : (٠٠ ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا ٠٠) ٥) ٠

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رجلا قال: يا نبي الله ! يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : « أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة [راوي الحديث عن انس] : بلى ! وعزة ربنا ٠

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين راهبين ٦) ٠ واثنان على بعير ،وثلاثة

---

١ – سورة الانبياء ٠ الاية ١٠٣ ٠ ٢ – سورة فصلت ٠ الايتان : ٣٠ ، ٣١ ٠
٣ – سورة الجاثية ٠ من الاية ٢١ ٤ – سورة البقرة ٠ من الاية ٢٧٥ ٠
٥ – سورة الاسراء ٠ من الاية ٩٧٠
٦ – الفرقة المكرمة المقربة من رضوان الله في محشرها : هي التي اغتنمت فرصة حياتها فعملت لخيرها ، وأحسنت لغيرها ، ووفت بعهد ربها ، راغبة في ثواب الاخرة ونعيمها ، راهبة فتنة الدنيا وشهواتها

على بعير ، وأربعة على بعير (1) • وتحشر بقيتهم النار (2) ، تقيل معهم حيث قالوا (3) ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا » (4) •

إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

ما من فرد من أفراد الملائكة ـ وهم سكان السماء ـ ولا واحد من الجن والانس ـ وهم المكلفون من سكان الارض ـ الا وهو معروض على ربه ، وموقوف بين يديه ، يجيء معترفا بالعبودية ، مقرا للرحمن بجلال الربوبية •

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

الله الخلاق العليم لا يضل ولا ينسى ، وقد أحصى جميع الخلائق ، فمحال أن يعزب او يغيب او يخفى عليه منهم أحد ، ولن يتخلف عن الجمع او يفلت مفلت (•• وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) (5) •

---

1 ـ الفرقة الثانية : ربما تكون هي الطائفة التي خلطت عملا صالحا واخر سيئا• ويرى بعض علماء السنة أنهم الذين تقاعدوا حتى قل الظهر ، وضاق عن ان يسعهم لركوبهم فاشتركوا فركب اثنان منهم على بعير ، وثلاثة على بعير •• وعشرة على بعير •

2 ـ ذهبت طائفة من شراح الحديث الى أن المعنى : نار فتن الدنيا حشرت بقية الناس فعجزوا عن تحصيل ما يركبونه ـ وهم الفرقة الثالثة ـ تصاحبهم في مقيلهم ومبيتهم ، وحيث يبيتون ، وحيث يصبحون ، وحيث يمسون • اهـ •
واقول : ويمكن ان تكون نار الاخرة التي وصفت بأنها ترمي بشرر كالقصر ، وصدق الله العظيم : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) الاية 12 من سورة الفرقان • وتكون : « تقيل » و « تبيت » و « تصبح » و « تمسى » من قبيل المجاز ، والمعنى : انها تلازمهم وتبادرهم وتغشاهم بحرها وذلها منذ يبعثون وأينما يساقون ، (•• وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) من الاية 47 من سورة الحج •

3 ـ قالوا : يعني قضوا وقت القيلولة ، ظهرا •

4 ـ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة •

5 ـ سورة الكهف • من الاية 47 •

﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾

جميع الخلق سيصفون بين يدي الله ، ويقدمون ولا أحد ولا شيء معهم مما أوتوا في الدنيا من المال والجاه والعشير والنفير : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ٠٠) ١) ٠

من سورة النبأ

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾

يوم النفخة الثانية ـ وحين يفزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ـ يوجه الخلق الى حيث المحشر جماعات جماعات ٠ وما ورد في القران الكريم مما يشعر بمجيئهم آحادا فربما يعني : انهم يتوافدون وليس معهم مال ولا رجال ، ومالهم من قوة ولا ناصر ، لايمنعهم من الله مانع ، ولن يجيرهم منه مجير ٠

كل طائفة يتجمع أشتاتها ، ويصحبها أولياؤها ، فأولياء الشياطين يحشرون معهم (فوربك لنحشرنهم والشياطين ٠٠) ٢) ٠ والطغاة مقترنون وأعوانهم وأقرانهم ٠ جاء في الذكر الحكيم : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون ٠ من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم.وقفوهم انهم مسؤولون) ٣) وائمة الضلال هم وأتباعهم يحشرون معا ٠ (٠٠ وما أمر فرعون برشيد ٠ يقدم قومه يوم القيامة ٠٠ ٤) ٠

والذين اتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، واهتدوا بهدىنبيهم يحشرون مع رسولهم : (يوم ندعو كل أناس بامامهم ٠٠) ٥) ٠

يقول ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : ٠٠(فتأتون)

---

١ ـ سورة الانعام ٠ من الاية ٩٤ ٠

٢ ـ سورة مريم ٠ من الاية ٦٨ ٠

٣ ـ سورة الصافات ٠ الايات من ٢٢ ـ ٢٤ ٠

٤ ـ سورة هود ٠ من الايتين ٩٧ ، ٩٨ ٠

٥ ـ سورة الاسراء من الاية ٧١ ٠

اي الى موضع العرض (افواجا) ١) اي أمما ، كل أمة مع امامهم ٠٠
ونصب يوما بدلا من اليوم الاول ٠

---

١ ـ روى الحافظ القرطبي عن معاذ بن جبل قال : قلت : يا رسول الله ! أرأيت قول الله تعالى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ [بن جبل] ! لقد سألت عن أمر عظيم » ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال : « يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم اللهتعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم : فمنهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون : أرجلهم أعلاهم ، ووجوههم يسحبون عليها ، وبعضهم عمى يترددون ، وبعضهم صم بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار ، وبعضهم اشد نتنا من الجيف ، وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم ٠ فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس ـ يعني النمام ـ واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس ، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا ، والعمى : من يجور في الحكم ، والصم البكم : الذين يعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون ألسنتهم : فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم ، والمقطعة أيديهم وأرجلهم : فالذين يؤذون الجيران ، والمصلبون على جذوع النار : فالسعاة بالناس الى السلطان ، والذين هم أشد نتنا من الجيف : فالذين يتمتعون بالشهوات والملذات ويمنعون حق الله من أموالهم : والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء » ٠

الفَصل الثالث

الحساب

ما تضمنه الفصل الثالث من آيات وأحاديث

ما تضمنه الفصل الثالث من آيات

رقم الصحيفة

ما تضمنه الفصل الثالث من أحاديث

رقم الصحيفة

من سورة المائدة

يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ

(يوم) متعلق بفعل مقدر · أي احذروا يوم الحساب يوم يجمع الله الرسل ليشهدوا على من أرسلوا اليهم · او التقدير : واتقوا يوم يجمع الله الرسل · فيكون عطفا على (واتقوا) ١) في الاية التي سبقتها ·

فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ

يتحقق موعود الله ، فيشهد كل نبي على أمته بماذا أجابت نبيها ، ومن منها صدق بالرسالة ، وأيهم عتا عن أمر ربه ونبيه : (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ٢) (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ··)٣) ·

قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

فتقول الرسل : لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا ، ما عزب ولا غاب عن علمك شيء ، وعلمنا كان بظواهر أحوالهم ، وعلمك أحاط بما يبدون وما يكتمون ·

من سورة الاعراف

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾

كلمات ربنا صدق وعدل ، ولا مبدل لكلماته سبحانه ، ولا بد ان يسأل كل مكلف عن اتباعه لما جاء من وحي الله ورسالاته او إعراضه عنه وصدق الله العظيم : (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) ٤)·

---

١ ـ وذلك قوله عز شأنه : (ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين) ·

٢ ـ سورة النساء · الاية ٤١ ·

٣ ـ سورة النحل · من الاية ٨٩ ·

٤ ـ سورة القصص · الاية ٦٥ ·

ولا ريب ولا شك في سؤال من أرسلهم-وهو أعلم بهم ـ عن تبليغهم ما أرسلوا به ٠

وهكذا تؤكد الآية الكريمة باكد أسلوب ـ باللام الموطئة للقسم وبنون التوكيد الثقيلة المشددة ـ أن الله تعالى سائل المنذَرين والمنذِرين ، والمدعوين للدين الحق والداعين ٠

نقل الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ والسدى ومجاهد ما حاصله : لنسألن الامم الذين أرسلت اليهم رسلى ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي ؟ هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمري ؟ أم عصوني فخالفوا ذلك ؟ ٠ ولنسألن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم هل بلغتهم رسالاتي وأدت اليهم ما أمرتهم بأدائه اليهم ؟ أم قصروا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم ٠ اهـ ٠

أقول : ومن هنا تتجلى الحكمة في أن الرسل ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ كانوا أحرص ما يكونون على أداء امانات دعوة الله ، والاعذار في توفيتها حقها من البلاغ ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فنوح عليه السلام يقول ما حكاه عنه القران الكريم : (٠٠ رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ٠ فلم يزدهم دعائي الا فرارا ٠ واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ٠ ثم إني دعوتهم جهارا ٠ ثم اني اعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) ١) ٠ وهود (صلوات الله عليه يقول : (فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ٠٠) ٢) وصالح ـ سلام الله عليه وعلى اخوانه المرسلين يقول : (٠٠ لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) ٣)٠ وشعيب يقول : (٠٠ لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) ٤) ٠ ومحمد خاتم النبيين ـ عليه من ربنا الصلوات والتسليم ـ يقف في حجة الوداع داعيا هاديا ، مبصرا مذكرا ، وعلى مسمع من جموع الحاجين الموحدين يقرر ويكرر في فقار خطبته انه قد بشّر وحذّر ، وانذر وأعذر ، « ٠٠ ألا هل بلغت » ؟ قالوا : نعم ٠ قال « اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ٠٠ » ٥

---

١ ـ سورة نوح ٠ الايات من ٥ ـ ٩ ٠

٢ ـ سورة هود ٠ من الاية ٥٧ ٠

٣ ـ سورة الاعراف ٠من الاية ٧٩ ٠

٤ ـ سورة الاعراف ٠ من الاية ٩٣ ٠

٥ ـ رواه البخاري ٠

من سورة الاسراء

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ

ربما يكون المعنى ـ والله اعلم ـ وكل آدمي وكل مكلّف يُعرض علينا يوم التلاق وقد علقنا صحائف عمله في عنقه ، أو لزمته فهي كالقلادة في نحره لا تفارقه ، فان كان خيرا يزينه كان كالطوق ، وان كان شرا يشينه كان كالغل ٠

قال اكثر أهل اللغة : اطلاق الطائر على العمل تسمية للشيء باسم لازمه ٠

ونقل الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : طائره : عمله ٠

وأورد القرطبي عن مقاتل والكلبي : خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به ٠

ويقول النيسابوري : عن الحسن : يا بن آدم ! بسطت الصحيفة ، وطُويت في قبرك معك ، ثم اذا بُعثت قلدتها في عنقك ٠

وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾

ونبرز صحف الاعمال ويعطاها اصحابها مفتوحة غير مطوية ، تعجيلا لمسرة المتقين ، ومبادرة بمساءة المفسدين ٠

جاء في تفسير [الجامع لاحكام القران] عن ابي السوار العدوي ٠٠ : هما نشرتان وطية ، أما ما حييت يا بن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت ، فاذا مت طويت ، حتى اذا بعثت نشرت ٠

ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

ينادي كل محشور أن اقرأ كتاب عملك الذي كنت تعمل في الدنيا من قول او فعل او نية وطوية ، وكان الملكان الموكلان بك يكتبانه عليك ، استنسخناه واحصيناه [واليوم لا نبتغي عليك حاسبا غير نفسك ، ولا نطلب محصيا سواها] ١) ٠

ونقل قتادة : ٠٠ سيقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا في الدنيا ٠اهـ

اقول : وحتى لو لم يطالع ما كتبته الملائكة الحفظة الكتبة فانه يعاين ما كسب وما اقترف : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه

---

١ ـ العبارة التي بين القوسين من تفسير [جامع البيان] بتصرف ٠

ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ٠٠) ٠ وقرائن الاحوال تغشى بالـــذل والنكال ، او تنزاح بها الاهوال : (فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ٠ اني ظننت اني ملاق حسابيه ٠ فهو في عيشة راضية)١) ٠

(واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ٠ ولم ادر ما حسابيه) ٢) ٠

ولكأن القران الكريم يشير الى ان مواجهة الآثمين بحصيلة اوزارهم تشتد بها عليهم الحسرة (وأما من اوتي كتابه وراء ظهره ٠ فسوف يدعو ثبورا) ٣) (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ٠ يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ٠ لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) ٤) ٠ ومن علته الندامة فأي مقروء يتحرك به لسانه ؟ ! ولا يستوي هو ومن سعىللسلامة ٠ (٠٠ فأما مـن اوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ٠ ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا) ٥) ٠

من سورة العنكبوت

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ

مع الصحائف المدونة ، المحصية لافعال كل مكلف وأقواله ـ وحتى أسراره ـ يحمل ما اجترح ويفضح به على رؤوس الخلائق ٠ والقـــران العزيز يؤكد هذا في اكثر من آية (ليحملوا اوزارهـــم كاملة يـــوم القيامة ٠٠) ٦) (٠٠ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ٠٠) ٧) (٠٠ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ٠٠) ٨) ٠

روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا ٩) اقرع١٠) له زبيبتـــان ١١) يطوقــــه يوم القيـــامة ثم يأخـــذ

---

١ ـ سورة الحاقة ٠ الايات : من ١٩ ـ ٢١ ٠ ٢ ـ سورة الحاقة ٠الايتان ٢٥ ، ٢٦ ٠
٣ ـ سورة الانشقاق ٠ الايتان : ١٠ ، ١١ ٠ ٦ ـ سورة النحل ٠ من الاية ٢٥ ٠
٤ ـ سورة الفرقان ٠ الايات من ٢٧ ـ ٣٠ ٠ ٧ ـ سورة ال عمران ٠ من الاية ١٨٠
٥ ـ سورة الاسراء ٠ من الاية ٧١ والاية ٧٢ ٠ ٨ ـ سورة ال عمران ٠ من الاية ١٦١
٩ ـ الحية الذكر ٠ او الثعبان الذي يقوم على ذنبه للوثوب ٠
١٠ ـ الذي تمرط جلدة رأسه لكثرة سمه وطول عمره ٠
١١ ـ نكتتان سوداوان فوق عينيه ، وهو أخبث الحيات ٠

بلهزمتيه ١) يقول : انا مالك انا كنزك ـ ثم تلا هذه الاية : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هـــو شر لهـم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة) » ٠

وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال : انتهيـــت الى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « والذي نفسي بيده » او « الذي لا اله غيره » او كما حلف « ما من رجل تكون له إبل او بقر أو غنم لا يـؤدي حقها الا اتى بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمن ، تطؤه بأخفافهـــا ، وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أخراها ردت عليه اولاها ، حتى يقضي بين الناس » ٠

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال : قام فينا رسول الله صـلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظّمه وعظّم أمره ثم قال : « لا أُلفيَنّ ٢) أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغـاء ٣) يقـول : يا رسول الله أغثني فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ٤) فيقول يا رسول الله اغثني فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفيَنّ احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاه لها ثغاء ٥) يقول رسول الله أغثني فأقول لا املك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفيَنّ احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فأقول لا املك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفيَنّ احدكـم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع ٦) تخفق ٧) فيقول يا رسول الله اغثني فأقول لا املك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفيَنّ احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ٨) فيقول يا رسول الله اغثني فأقول لا املك لك شيئا قد أبلغتك » ٠

وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ

يبرزون في الموقف وعلى ظهورهم وأكتافهم آثامهم وآثام من اغرَوهم بمتابعتهم ، ومن زينوا لهم قبيح فجورهم (٠٠ ومن أوزار الذين يُضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون) ٩) ٠

---

١ ـ بشدقيه ٠

٢ ـ لا أجدن ٠ نهى وتحذير ٠

٣ ـ صوت الجمل ٠

٤ ـ صوته الاقل من الصهيل ٠

٥ ـ الثغاء : صياح الغنم ٠

٦ ـ الرقاع ، جمع رقعة وهي التي تكتب ٠ وكأن المراد بها هو ما يكون عليها من الحقوق المكتوبة ٠

٧ ـ تتحـــرك ٨ ـ الصامت : المال من الذهب والفضة ٠ خلاف الناطق وهو الحيوان ٠

٩ ـ سورة النحل ٠ من الاية ٢٥ ٠

وما ظلمهم الله ، ولكن ظلموا أنفسهم ، بصدهم عن الهدى ، وسعيهم بالفساد والإفساد ١) ٠

او يكون المعنى : سيحمل الظالم مع سيئاته سيئات من ظلم بعد ان تفرغ حسناته ، كما بين القرآن حوار الضالين والمضلين ! (٠٠ قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) ٢) ٠

وسأل النبي صلى الله عليه وسلم يوما بعض أصحابه فقال : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ٠ قال: « المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي قد شتم هذا وسب هذا وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى اذا لم تبق له حسنات اخذ من سيئاتهم فطرح على سيئاته » ٠ خرّجه مسلم عن ابي هريرة وخرّج البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل الا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أُخذ منه قدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » ٠

وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

اقسم الله تعالى انه سائل كل مكلف عما اجترح واقترف ، عما قال وعما فعل ، وعما ظهر منه وما بطن ٣) : (فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون) ٤) ٠

واما ما تضمنته الاية الكريمة : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا

---

١ ـ أخرج ابن ماجة في سننه عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان له مثل اوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيئا ، وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فان له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئا »٠ ٢ ـ سورة الاعراف ٠ من الاية ٣٨ ٠

٣ ـ كثير من الامور الباطنة يسأل الناس عنها ويجزون بها ، اذ النفاق ـ اعاذنا الله منه ـ اظهار لاقوال وافعال الاسلام مع ابطان الكفر ، وكذا كراهية ما امر ومن أمر الله ان نحبه ، وربنا ـ تبارك وتعالى ـ يجزي بالنيات حسنها وسيئها ، أما حديث النفس فالله الكريم يتجاوز عنه بفضله ٠

٤ ـ سورة الحجر ٠ الايتان : ٩٢ ، ٩٣ ٠

جان) ١) وقول الحق جل علاه (·· ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ٢) فانما ذلك في موطن اخر من مواطن يوم القيامة ، فموطن يسألون فيه عند الحساب ، وموطن بعد لا يسألون فيه (هذا يوم لا ينطقون.ولا يؤذن لهم فيعتذرون) ٣) ·

والآية هنا تؤكد ان الله سبحانه سيسأل المضلين عن بهتانهم وزورهم ، وعن اختلاقهم وضلالهم ، وعن بغيهم وظلمهم ·

وفي سورة أخرى يقول ربنا ــ عز شأنه ــ : (ليسأل الصادقين عن صدقهم ··) ٤) ·

وهكذا يسأل الله السعداء والاشقياء ، والابرار والفجار ٥) ·

بل يبين القرآن العظيم ان الخاسرين حين يسألون يقسمون ــ كاذبين ــ انهم ما اجرموا ولا ضلوا : (·· قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)٦)· (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) ٧) ·

من سورة يس

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

يوم يحلف الضلال عند السؤال كاذبين يخرس الله السنتهم ، وينطق جوارحهم بآثامهم وأوزارهم : (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه ··) ٨) (·· لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) ٩) ·

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « اتدرون مم أضحك » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم · قال صلى الله عليه وسلم : « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : رب ! ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول:

---

١ ــ سورة الرحمن ، الاية ٣٩ · ٢ ــ سورة القصص · من الاية ٧٨ ·

٣ ــ سورة المرسلات · الايتان : ٣٥ ، ٣٦· ٤ــ سورة الاحزاب · من الاية ٨ ·

٥ ــ أورد صاحب الجامع لاحكام القران ما حاصله : سؤال الاشرار والكفار سؤال تقرير وتوبيخ وإفضاح ، وسؤال الاخيار سؤال استشهاد بهم وإفصاح · اهـ ·

٦ ــ سورة الانعام · من الاية ٢٣ · ٧ ــ سورة المجادلة · الاية ١٨ ·

٨ ــ سورة هود · من الاية ١٠٥ · ٩ ــ سورة النبأ · من الاية ٣٨ ·

بلى · فيقول : لا أجيز على إلا شاهدا من نفسي · فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، وبالكرام الكاتبين شهودا · فيختم على فيه (1) ، ويقال لأركانه (2) انطقى فتنطق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بُعدا لكُنّ وسحقا ! فعنكن كنت أناضل » (3) ·

من سورة فصلت

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (20)

حتى اذا ما وصلوا ساحة العرض وموقف الحساب ، ونسوا او تناسوا ما كان منهم من سيئات وأوزار اقام الله تعالى عليهم الحجة : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) (4) وتنطق اذنه بما سمعت من فحش واذى ، وتنطق عينه بما امتدت اليه من آثام ، وينطق جلده بما باشر من حرام (5).

وان عاد الضمير في (جاءوها) على النار – وليس على ساحة العرض وموقف الحساب كما قدمنا – فلا بعد ، ويكون المعنى – على هذا – حتى اذا ما طالعوا النار وعاينوها واشرفوا عليها اشهد الله عليهم سمعهم

---

1 – فمه ·

2 – لاركانه : لجوارحه وأعضائه ·

3 – رواه مسلم · وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل بعضا من اصحابه – وقد قرنت سورة الزلزلة وفيها (يومئذ تحدث اخبارها) – « اتدرون ما اخبارها » قالوا : الله ورسوله أعلم · قال : « فان أخبارها ان تحدث بما كان على ظهرها من عبد أو أمة ، تقول : عملت كذا وكذا في ليلة كذا فهذه اخبارها »!·

4 – سورة الكهف · الاية 49 ·

5 – روى الامام محمد بن جرير الطبري بسنده عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال – واشار بيده الى الشام – قال : « ههنا ! الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وعلى وجوهكم يوم القيامة ، على افواهكم الفدام توفون سبعين أمة انتم اخرها واكرمها على الله ، وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه » · الفدام : رباط يشد على الفم. يعرب : يفصح ويبين ويحدث ·
وفي هذا عبرة وعظة لمن تنازعهم نفوسهم الى الشهوة الحرام ·

وابصارهم وجلودهم فهي تلاحقهم من حين يبعثون : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) ١) ٠

والقرآن الكريم يبين ان أهل الخسار الباغين يوجهون الى طريق جهنم ، لكن لا بد من وقفة للحساب : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون.من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم ٠ وقفوهم انهم مسؤولون) ٢) ٠

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)

عندما تشهد الجلود على اصحابها من الاشرار يقولون لجلودهم : لم شهدتهم علينا بما كنا نعمل في الدنيا ؟ فتجيب جلودهم : الله أنطقنا فشهدنا ٠

يقول المفسرون السلفيون : القادر على خلقكم وإنطاقكم في المرة الاولى في الدنيا ثم خلقكم وانطاقكم مرة ، وثالثة ، في القبر وفي القيامة كيف يستبعد منه إنطاق الجلود ؟! ــ او الاسماع او الابصار ــ وفيه تنبيه الى ان المؤمن يجب عليه ان يكون في أوقات خلواته أهْيب لربه ، وأوفر احتشاما ومراقبة ٠

من سورة الجاثية

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً

حال من احوال يوم القيامة ، وهول من اهوالها ــ نجانا الله من كربها ــ حين تشاهد كل طائفة وكل اهل ملة ٣) وقد تجمعت وجثت وبركت على ركبها خضعانا لله الملك المهيمن (٠٠ إذ القلوب لدى الحناجر

---

١ ــ سورة الفرقان ٠ الاية ١٢ ٠ ٢ ــ سورة الصافات ٠ الايات من ٢٢ ــ ٢٤ ٠

٣ ــ بالسند المتصل ردى الحفاظ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كأني اراكم بالكوم جاثين دون جهنم » ٠ الكوم : المواضع [illegible]

كاظمين ··) ١) (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) ٢) ·

والخطاب في (وترى) للنبي محمد صلى الله عليه وسلم · او لكل من تتأتى منه الرؤية ·

كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا

كل اهل دين يدعون الى ما كتبته عليهم الملائكة الحفظة مما كانوا يعملون في الدنيا من خير وشر ، من قول او نية او فعل ٣) ·

والكتاب ـ على هذا ـ اسم يراد به الجمع [كتب] · واضافته مجازية ، والتقدير كل امة تدعى الى كتب ابنائها ، كل واحد منها يدعى إلى كتابه · وإلى هذا يشير القران العظيم : (·· ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ··) ٤) ·

وقيل : تدعى كل امة الى كتابها المنزل على رسولها ، لينظر هل

---

١ ـ سورة غافر · من الاية ١٨ · ٢ ـ سورة غافر · الاية ١٦ ·

٣ ـ نقل صاحب جامع البيان في احكام القران عن قتادة قوله : كل امة تدعى الى كتابها يعلمون انه ستدعى امة قبل امة · وقوم قبل قوم ، ورجل قبل رجل ؛ ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يمثل لكل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من حجر او وثن او خشبة او دابة ، ثم يقال · من كان يعبد شيئا فليتبعه فتكون او تجعل تلك الاوثان قادة الى النار حتى تقذفهم فيها ، فتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واهل الكتاب · فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله وعزيرًا الا قليلا منهم ، فيقال لهم : اما عزير فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ، ثم يدعى بالنصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله والمسيح، الا قليلا منهم ، فيقال : أما عيسى فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ، وتبقى امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال لهم ، ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله وحده ، وانما فارقنا هؤلاء في الدنيا مخافة يومنا هذا ! فيؤذن للمؤمنين في السجود فيسجد المؤمنون وبين كل مؤمن منافق ، فيقسو ظهر المنافق عن السجود ، ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخا وصغارا ، وحسرة وندامة » · اهـ ·

اقول : في كتاب الله اشارة الى هذا المعنى الاخير : (·· ويدعون الى السجود فلا يستطيعون · خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) من الاية ٤٢ والاية ٤٣ من سورة القلم ·

٤ ـ سورة الزمر · من الاية ٦٩ ·

عملوا بما فيه ؟ ٠ لكن سياق الآيات يشهد للرأي الاول ، بدليل القول الكريم في الآية التالية : (٠٠ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) فهي إذاً مجموع الصحف التي كتبتها الملائكة الحفظة ٠

ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

ينادون : اليوم يوم جزاء كل عامل بما كان يعمل في دنياه (٠٠ من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ٠ ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ١) ٠

هَٰذَا كِتَٰبُنَا

كتابنا هذا الذي وكلنا به المتلقيين (٠٠ عن اليمين وعن الشمال قعيد ٠ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ٢) وسطر بأمرنا الى ملائكتنا (وان عليكم لحافظين ٠ كراما كاتبين ٠ يعلمون ما تفعلون) ٣) ٠ فهو كتابكم من حيث هو محص لاعمالكم ، وكتابنا لانه كتب بأمرنا وبأيدي ملائكتنا ٠

يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ج

يشهد على ما كان منكم ، ويبين ، فهو من قبيل الاستعارة ٠

وللمحسنين كتابهم ، وللآثمين كتابهم ، يقول الله تبارك وتعالى ـ في حال الفاسقين : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ٠٠) ٤) ٠ ويقول عز شأنه ـ بعد ذكر اوصاف الموحدين المتقين: (اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ٠ ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) ٥) ٠

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

كانت رسلنا من جند السماء تسجل ما تأتون دون زيادة او نقصان

---

١ ـ سورة النساء ٠ من الاية ١٢٣ والاية ١٢٤ ٠

٢ ـ سورة ق٠ من الاية ١٧ والاية ١٨ ٣ ـ سورة الانفطار ٠ الايات : من ١٠ ـ ١٢ ٠

٤ ـ سورة الكهف ٠ من الاية ٤٩ ٠ ٥ ـ سورة المؤمنون ٠ الايتان : ٦١ ، ٦٢ ٠

(.. ورسلنا لديهم يكتبون) ١) (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر. بل الانسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره) ٢) .

من سورة الانبياء ٣)

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

ينصب الله تعالى الميزان العدل لاهل يوم القيامة . وجمهور علماء الامة على انه ميزان كالذي يوزن به في الدنيا ، وانما جاء بلفظ الجمع (الموازين) ربما لتعدد الاعمال الموزونة فيه ، يقول الله – عز وتبارك : (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) ٤) . و (القسط) الحق الذي لا يخالطه جور ولا تخسير ولا تطفيف .

نقل الامام ابو عبد الله القرطبي : والقسط صفة الموازين ، ووحد لانه مصدر ، يقال ، ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط . اهـ.

فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا

لا تبخس نفس ولا يضيع من حقها شيء . فلا ينتقص من احسان محسن ولا يزاد على إساءة مسيء (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما) ٥) .

وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا

ومهما كان العمل يسيرا ، واينما عمله صاحبه فان الله تعالى يضعه في ميزان عامله يجمعه له (يا بُني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) ٦) .

---

١ – سورة الزخرف . من الاية ٨٠ . ٢ – سورة القيامة . الايات : من ١٣ – ١٥ .

٣ – الآيات التي تعرضت لتفسيرها من بداية الفصل الى هنا بينت السؤال والشهود ، والان اتعرض لتفسير بعض ايات الميزان .

٤ – سورة الاعراف . الايتان : ٨ ، ٩ .

٥ – سورة النساء ، الاية ٤٠ . ٦ – سورة لقمان . الاية ١٦ .

﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

لا أحد أسرع منا حسابا ، ولا اخبر منا إحصاء (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) ١) (·· لا يضل ربي ولا ينسى) ٢) (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعملون ان الله هو الحق المبين) ٣) ·

من سورة المرسلات ٤

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

يوم يعرض الناس على ربنا الرحمن يشتد على الطاغين الكرب ويلتهب الحر ، ويلجمهم العرق ، ويضنيهم الظمأ ، حتى اذا تعاظمت الخطوب ، واوشكت ان تنخلع من الغم القلوب (·· اذ القلـــــوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) ٥) عندها ينادون: انطلقوا الى ظل هو ألسنة لهب الجحيم ـ وقانا الله عذابها ـ يخالـــــط اللهب دخانها ، فكأنه متشعب ، ويفرق الدخان عمد النار المتصاعدة ·

﴿ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾

فلا الدخان في ذاته مظل يرد اللفح والقيظ ، او يدوق من تفياه بردا، ولا هو يحول بينهم وبين سعير النار ووهجها ! وانما كما بين الحق الكبير المتعال : (في سموم وحميم · وظل من يحموم · لا بارد ولا كريم) ٦) ·

من سورة الانشقاق

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ ﴾

من اعطى صحائف اعماله التي سجلتها الملائكة ايام حياته وتكليفه،

---

١ ـ سورة الاعراف · الاية ٧ ·
٢ ـ سورة طه · من الاية ٥٢ ·
٣ ـ سورة النور · الاية ٢٥ · ·
٥ ـ سورة غافر · من الاية ١٨ ·
٤ ـ الايات التالية تبين جانبا من أحوال الخلق حتى يحكم الله بين العباد ·
٦ ـ سورة الواقعة · الايات : من ٤٢ ـ ٤٤ ·

وكانت الحسنات فيها اكثر فتناولها بيمناه يوم يجمع الله الاولين والاخرين ، فان المولى سبحانه يكرم نزله مع من بشرهم كتاب ربنا الرحمن : (لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) ١) · ويكسى ويستر مع الذين وعدهم النبي الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم : « ·· ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما · ويظله ربنا – تبارك وتعالى – ويقيه حر ذلك اليوم وشره ، وهكذا وعد الله المحسنين كما اخبرنا خاتم النبيين عليه الصلوات والتسليم : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : اني اخاف الله ، ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ·

ويجلس على منابر النور« ان المقسطين عند الله على منابر من نور. الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا» رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو.

ويردون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضه · ٢) في الصحيحين عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «اني فرطكم ٣) على الحوض من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ ابدا ، ليردن على اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم » ·

وروايتهما عن ابي سعيد الخدري – بزيادة – « فأقول : انهم مني ، فيقال : انك لا تدري ما احدثوا بعدك ، فأقول : سحقا ٤) سحقا ! لمن غير بعدي » ·

ورويا عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اني على الحوض حتى انظر من يرد على منكم ،

---

١ – سورة الانبياء · الاية ١٠٣ ·

٢ – نقل عن الامام النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: أحاديث الحوض صحيحة ، والايمان به فرض ، والتصديق به من الايمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة ·

٣ – الفرط : الذي يتقدم الواردين فيهيىء لهم ما يحتاجون اليه ·

٤ – سحقا : بعدا ، دعاء عليهم بالبعد من رحمة الله ·

وسيؤخذ ناس دوني ١) فأقول يا رب ! مني ومن امتي · فيقال : هـــل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم » فاللهم انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا ، او نفتن عن ديننا ٢) ·

ورواية البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده ! لاذودن ٣) رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض » ·

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

عقب الجمع والحشر والوقوف لتلقى الصحائف والسؤال والميزان يحكم الله بين العباد ، ويوم القيامة ليس باليوم القصير ، وصدق اللـه العظيم : (·· في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) ٤) ·

والحساب اليسير : منه التجاوز عن السيئات ، وستر الخطيئات ، ومضاعفة الحسنات ، تفضلا من الله الكريم الوهاب : (للذين احسنـوا الحسنى وزيادة ··) ٥) (·· وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنـه اجرا عظيما) ٦) فحسنة بعشر ، وحسنة بسبعين ، وحسنة بسبعمائة ، وبأضعاف لا يعلم عددها الا الشكور جل علاه ·

وفي الصحيحين عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حوسب عذب »· قالت عائشة فقلت : اوليس يقول الله تعالى : (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ قالت · فقال : « إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك » ·

ومن يُسْر الحساب ـ كما قدمنا ـ التجاوز عن الخطايا ، وسترها وغفرانها · روى الامامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن صفوان بن محرز المازني قال : بينما انا امشي مع ابن عمر رضي الله عنهما ، آخـذ بيده ، اذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ ـ دونى : قريبا مني ·

٢ ـ يقول الحفاظ : هذه الدعوة : فاللهم انا نعوذ بك ··· عن ابي مليكه روي هـذا الحديث عن اسماء ·

٣ ـ لاذودن : لامنعن ولادفعن واطردن · ٤ ـ سورة المعارج · من الاية ٤·

٥ ـ سورة يونس · من الاية ٢٦ · ٦ ـ سورة النساء · من الاية ٤٠ ·

في النجوى ١) ؟ ٠فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ٢) ويستره ، فيقول : اتعرف ذنب كذا ؟ اتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم اي رب ! حتى اذا قرره ٣) بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك ٤) قال : سترتها ٥) عليك في الدنيا واني اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته ، واما الكافر والمنافقون فيقول الاشهاد ٦) (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) »٠

---

١ ـ النجوى : المكالمة التي تكون بين الله تعالى وبين عبده يوم القيامة ٠

٢ ـ كنفه: حماه وستره يحجبه عن الاخرين سترا له ٠

٣ ـ قرره : ذكّره بذنوبه فاعترف بارتكابها ٠

٤ ـ هلك : استحق العذاب باقترافه تلك الخطايا ٠

٥ ـ سترتها : اي سترت ذنوبك فلم أفضحك بها ٠

٦ ـ الاشهاد : جمع شاهد او شهيد ، من الملائكة والنبيين وسائر الانس والجن ٠

[هذا الهامش اقتبست بعضه من شرح اللؤلؤ والمرجان بتصرف] ٠

الفصل الرابع

الجزاء

مـا تضمنه الفصل الرابع من آيات

من سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

تؤكد الاية الكريمة ان المؤمنين المتبعين خاتم النبيين المصدقين برسالته[١] وكذا المنتسبين إلى اليهودية ، والمنتمين الى النصرانية، واصحاب الملة الصابئة ، من صدق من هؤلاء بالله ولقائه ، وحسابه وجزائه ، وثبت على هذا اليقين ، واستكمل اركان الايمان التي جاءت بها الرسالة الخاتمة فامن مع ذلك بالملائكة والرسل والكتب ، وانفذ اوامر الشريعة الغراء واستقام على منهاجها فلهم ثوابهم من عند مولاهم الرحيم بهم ، ولن يستقبلوا في كل احوالهم الاخروية ما يفزعهم ، ولن يغتموا على ما خلفوا او من خلفوا في الدنيا ٠

واليهود : هم الذين انتسبوا الى دين موسى صلى الله عليه وسلم وما أُنزل عليه من التوراة ٢) ٠

والنصارى : هم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام ، واكثرهم ـ كما شهد كتاب الله الحق يزعمون تصديق المسيح عيسى والانجيل، وعيسى صلى الله عليه وسلم والانجيل منهم براء ٣) ٠

---

١ ـ نقل بعض ائمة التفسير بالمأثور عن سفيان انه قال : الذين امنوا ، هم المنافقون، لانهم اظهروا الايمان ٠٠ اهـ ٠

أقول : كتاب الله لا يطلق على هؤلاء وصف الايمان ، وانما يورده مقرونا بما يثبت مخادعتهم (٠٠ قالوا امنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ٠٠) سورة المائدة ٠من الآية

٢ ـ قيل : سموا يهودا لانهم هادوا أي تابوا بعد ما سألوا موسى ان يريهم ربه ٠

٣ ـ وفي ذلك تأتي الايات الكريمة : (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ٠٠) سورة المائدة ٠ الاية ٨٠ ومن الاية ٨١ ٠ فقليل منهم من يصح انتسابه الى الرسولين الكريمين موسى وعيسى ـ صلوات الله عليهما ـ والى الكتابين الصادقين للدينين السماويين : اليهودية والنصرانية (٠٠ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) سورة ال عمران ٠ من الاية ١١٠ ، والله سائل عيسى عليه السلام ـ عن افتراء هؤلاء وبهتانهم : (٠٠ أأنت

والصائبة ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، ولكنهم ـ كما حكى كثير من علماء الملل ـ يشهدون ان لا الله الا الله ٠

يقول اللغويون : الخوف : الذعر ولا يكون الا من امر مستقبل ، من شيء يخشى من وقوعه ٠ والحزن : الغم ـ ضد السرور ـ ولا يكون الا على ماض ٠

ونقل عن صاحب تفسير غرائب القران توجيــــه ثان لمعنى الآية : ٠٠ الذين آمنوا : هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة ، وهو عائد الى الماضي ، وكأنه قيل : ان الذين امنوا في الماضي ، واليهــود والنصارى والصابئين كل من امن منهم وثبت على ذلك في المستقبل ٠اهـ ٠

ولصاحب كتاب [جامع البيان في تفسير القران] في تأويل هذه الآية مساءلة جميلة : فإن قال لنا قائل : فأين تمام قوله (ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين) ؟ قيل : تمامه جملة قوله : (من امن بالله واليــــوم الاخر ٠٠) لان معناه : من امن منهم بالله واليوم الاخر ، فترك ذكر [منهم] لدلالة الكلام عليه ، استغناء بما ذكر عما ترك ذكره ٠ فان قال : وما معنى هذا الكلام ؟ قيل : ان معناه : ان الذين امنوا والذين هادوا والنصــــارى والصابئين من يؤمن بالله واليوم الاخر فلهم اجرهم عند ربهم ، فان قال : وكيف يؤمن المؤمن ؟ قيل : ليس المعنى في المؤمن الذي ظننته من انتقال من دين الى دين كانتقال اليهودي والنصراني الى الايمان ، وإن كان قد قيل ان

= قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربــي وربكم ٠٠) ٠ سورة المائدة ٠ من الايتين ١١٦ ، ١١٧ ٠

١ ـ ومما اورد ابن جرير عن السدى : [نزلت في اصحاب سلمان الفارسي بينا هو هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر اصحابه فأخبره خبرهم فقال : كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون انك ستبعث نبيا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ! هم من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان ، فأنزل الله هذه الاية : (ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر ٠٠)] فكان ايمان اليهود انه من تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى ، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة واخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا ، وايمــــان النصارى انه من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا ٠

الذين عنوا بذلك من كان من اهل الكتاب على إيمانه بعيسى وبما جاء به حتى أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدّقه ، فقيل لاولئك الذين كانوا مؤمنين بعيسى وبما جاء به اذ ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم :امنوا بمحمد وبما جاء به ، ولكن معنى ايمان المؤمن في هذا الموضع : ثباته على ايمانه ، وتركه تبديله ، وأما ايمان اليهود والنصارى والصابئين :فالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، فمن يؤمن منهم بمحمد وبمـــا جاء به ، واليوم الاخر . ويعمل صالحا . فلم يبدل ولم يغير حتى تُوفي على ذلك فله ثواب عمله وأجره عند ربه ٠اهـ ٠

أقول : صح عن خاتم النبيين محمد عليه الصلوات من الله والتسليم: « لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من اصحاب النار » ١) ٠ والاية الكريمة جامعة مانعة قاطعة : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين) ٢) ٠

بَلَىٰ

رد على ما ادعاه اليهود فيما حكته الاية السابقة (وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ٠٠) ٣) فأبطل الله زعمهم هذا ، وكذب قولهم ٠

والفرق بينها وبين [نعم] أنها اقرار في كل كلام اوله جحد ، فهـــي تبطل النفي ، اذ نفى النفى اثبات ، اما نعم فهي للاقرار في حالة الاستفهام الذي لم يتقدمه نفي ٠

مَن كَسَبَ سَيِّئَةً

من عمل وزرا ، وارتكب إثما ، وجمهور من المفسرين السلفيين على أن المراد بالسيئة هنا [الشرك] واستشهدوا بما جاء في التنزيل : (ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار ٠٠) ٤) ٠

وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ

طوّقته ولازمته حتى فارق الدنيا وهي تصاحبه ، ولم ينخلع منهـــا بتوبة ٠

---

١ - رواه مسلم عن ابي هريرة بنحوه ٠

٢ - سورة ال عمران ٠ الاية ٨٥ ٠

٣ - سورة البقرة ٠ من الاية ٨٠ ٠

٤ - سورة النمل . من الاية ٩٠ ٠

فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

الذين اشركوا وأجرموا وماتوا وهم كافرون يدخلون النار ويبقَوْن في عذابها إلى ما لا نهاية ، يصاحبون جهنم لا يفارقونها أبدا ٠

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ

وأهل الايمان والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وحسابه وثوابه ١) ومع تصديقهم يعملون بشريعة الله ، ويحرصون على طاعته ٠

أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

فهؤلاء يستحقون بفضل الله ثواب الجنة ونعيمها الابدي ٠

* * *

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾

يؤكد القران الحكيم ان الكافر الذي يموت على كفره ملعون ـ اذ الواو وفي (وهم) للحال ٠ واللعنة : الطرد من رحمة الله ، او الإبعاد من هدايته وتوفيقه ، او الابعاد من كل خير ، فمصير أهل الشرك والكفران الحرمان من الثواب والنعيم والسلامة في دار المآب ، والملائكة تنفذ امر ربنا فيحبسونهم في جهنم ، او الملائكة مع الناس في طلب اللعنة لهؤلاء ٠ (والناس) اما ان يراد : كثير منهم وهم المؤمنون او ان الكل يلعنهم حتى الأخلاّء والقرناء . كما قال الله عز شأنه : (٠٠ ثم يوم القيامةيكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضا٠٠)٢) وفي اية كريمة اخرى : (٠٠ كلما دخلت امة لعنت اختها ٠٠) ٣) ٠

---

١ ـ الثواب : الجزاء ، اعم من يكون جزاء على حسنات او سيئات ، وان كثر استعماله في جزاء الحسنات ، وفي القران الكريم ورد في جزاء السيئات قول الله سبحانه : (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ٠٠) سورة المائدة ٠ من الاية ٦٠ ٠

٢ ـ سورة العنكبوت ٠ من الاية ٢٥ ٠ ٣ ـ سورة الاعراف ٠ من الاية ٣٨ ٠

نقل الامام القرطبي عن ابن العربي : قال لي كثير من أشياخي : إن الكافر المعين لا يجوز لعنه ، لان حاله عند الموافاة لا تعلم ، وقد شرط الله في هذه الاية في اطلاق اللعنة : الموافاة على الكفر ، واما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن اقواما بأعيانهم من الكفار فإنما كان ذلك لعلمه بمآلهم • قال ابن العربي : والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله ، ولجواز قتله وقتاله ••• اما لعن الكفار جملة من غير تعيين فلا خلاف في ذلك ••• وليس ذلك بواجب ولكنه مباح لمن فعله ، لجحدهم الحق ، وعداوتهم للدين وأهله ، وكذلك كل من جاهر بالمعاصي كشُرّاب الخمر ، وأكَلة الربا ، ومن تشبه من النساء بالرجال ، ومن الرجال بالنساء ، الى غير ذلك مما ورد في الاحاديث لعنه •• وذكر ان لعن العاصي المعين لا يجوز اتفاقا ١) • لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتى بشارب خمر مرارا ، فقال بعض من حضره : لعنه الله ، ما اكثر ما يؤتى به ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا عون الشيطان على اخيكم » ٢) فجعل له حرمة الاخوة ، وهذا يوجب الشفقة وهذا حديث صحيح •• واما لعن العاصي مطلقا فيجوز اجماعا ٣) •• اهـ•

اقول : وكأن الامامين الجليلين القرطبي وابن العربي ذهبا الى ان اللعنة دنيوية ، مع ان الايات الكريمات تبين انها اخروية : (•• كلما دخلت امة لعنت اختها ••) (•• ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ••) وكذا الاية التالية ٤) •

---

١ - ذكر بعض العلماء خلافا في لعن العاصي المعين قال : وانما قال عليه السلام : « لا تكونوا عون الشيطان على اخيكم » في حق نعيمان بن عمرو بن رفاعة ، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها ، وكان كثير المزاح ، يضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه - كما جاء في اسد الغابة - وقال الرسول هذا بعد اقامة الحد عليه، ومن أقيم عليه حد الله تعالى فلا ينبغي لعنه ، ومن لم يقم عليه الحد فلعنته جائزة سواء سمى وعين ام لا ، لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلعن الا من تجب عليه اللعنة ما دام على تلك الحال الموجبة للعن ، فاذا تاب منها واقلع وطهره الحد فلا لعنة تتوجه عليه ، وبين هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب » فدل هذا الحديث مع صحته على ان التثريب واللعن انما يكون قبل اخذ الحد وقبل التوبة ، والله تعالى اعلم •

٢ - خرجه البخاري ومسلم •

٣ - استدل على ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده » •

٤ - اذ الضمير الوارد في الاية (فيها) عائد على اللعنة ، ودار الجزاء الخالد ليست دار الدنيا •

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

مَن حالهم كما وصفت الاية السابقة يخلدون ويمكثون مطرودين من رحمة الله ، مبعدين عن الثواب والنعيم والخير ؛ والعذاب الذي يبقون فيه لا يفتر عنهم ولا ييسر ، وانما يظل اليما شديدا ، ولا يمهلون بل يبادر بهم اليه ·

* * *

وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ

توقّوْا اهوال يوم تردون فيه الى ملاقاة ربكم، ليوفيكم جزاء اعمالكم، ولا يكون التوقي من تلك الشدائد والكربات الا بهجر المعاصي ، وفعل الخيرات ، فالرجعة الى الله ، او الى ما أعد الله من ثواب وعقاب ·

ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

عندها ينال كل عامل جزاء ما عمل من قول او فعل – بل وربما من ارادة – ويستوفي استحقاقه دون بخس ولا جور ، فربنا يقضي بالحق ·

يقول الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : يعني بذلك جل ثناؤه : واحذروا ايها الناس يوما ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه ان تردوا عليه بسيئات تهلككم او بمخزيات تخزيكم ، او بفضيحات تفضحكم ، فتهتك استاركم ، او بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به او انه يوم مجازاة الاعمال ، لا يوم استعتاب ، ولا يوم استقالة وتوبة وانابة ، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة ، توفى فيه كل نفس اجرها على ما قدمت واكتسبت من سيء وصالح ، لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر الا احضرت ، فتُوفّى جزاءها بالعدل من ربها (وهم لا يظلمون) كيف يظلم من جوزى بالاساءة مثلها ؟ كلا ! بل عدل عليك ايها المسيء ، وتكرم عليك فأفضل واسبغ ايها المحسن ، فاتقي امرؤ ربه فأخذ منه حذره ، وراقبه ان يهجم عليه يومه وهو من الاوزار ظهره ثقيل ، ومن صالحات الاعمال خفيف ، فانه عز وجل حذر فأعذر ووعظ فأبلغ ·اهـ ·

لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

اللهم جل علاه لا يسَوي بين المؤمنين والكافرين في يـــوم الدين ، فالكافرون لهم عذاب الحريق ، وأما الموحدون المهتدون فهم المكرمـــون المنعمون ، ومأواهم الجنات النضرات ، والبساتين المبهجات،ذوات الانهار الجاريات ، وهم في دار المقامة هذه باقون ·

يقول صاحب [جامع البيان] يعني بذلك جل ثناؤه ··· لكـــن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم ، واجتناب مانهاهم عنه (لهم جنات) يعني بساتين ·· باقين فيها ابدا ·· اهـ ·

نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ

كل ما يناله المتقون من نعيم لا يقف عند الملذات البدنية ، لكنه فوق ذلك يتضمن المسرات المعنوية ، ويحقق منازل السمو والرفعة التكريمية · فان الذي منحوه ما هو الا عطاء من لدن الله العلي الاعلى ·

والنزل : ما يهيأ للنزيل وهو الضيف · قال الشاعر :

نزيل القوم اعظمهم حقوقا — وحق الله في حق النزيل

فما ظنك بنزل اضياف الكريم الوهاب ؟ ! ·

نقل صاحب تفسير غرائب القران ورغائب الفرقان : ·· والنزل ما يعد للضيف ويعجل · ومن هنا تمسك بعض الاصحاب في الرؤية ، لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة اليها·اهـ·

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾

هذه الخيرات التي اعدت للصالحين تقربهم من رضوان ربالعالمين، وتدخلهم في دار ثواب الملك الكريم ، وان الذي تضمن به مولانا البـــر الرحيم لهو اخير الخير واعظم الاجر للذين احسنوا وبَرُّوا ·

اورد الطبري بسنده عن أبي الدرداء انه كان يقول : ما من مؤمـــن إلا والموت خير له ، وما من كافر الا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فان الله يقول : (وما عند الله خير للابرار) ويقول : (ولايحسبن الذين كفروا

أنما نملي عليهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا اثما ٠٠) ١) اهـ ٠

وأورد النيسابوري ما نصه : وقيل : المعنى : وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل ٠اهـ ٠

ونقل الحافظ ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : انما سماهم الله الابرار لانهم بروا الاباء والابناء ، كما ان لوالديك عليك حقا ، كذلك لولدك عليك حق ٠ اهـ ٠

من سورة النساء

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا

ومن يخالف امر الله تعالى وهدي نبيه ، او يقع فيما نهاه عنه ربه وحذره منه الرسول ٢) ، ومن يتخط الفواصل التي جعلها الله فاصلة بينه وبين معصيته والخروج على ملته يَجزِه الله تعالى بايوائه في النار وابقائه فيها ٠

يقول الطبري : فان قال قائل : او يخلد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث ؟ قيل : نعم ! اذا جمع الى معصيتهما في ذلك شكا في ان الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الايتين او علم ذلك فحاد الله ورسوله في امرهما ، على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى: (يوصيكم الله في اولادكم) الى تمام الايتين ٣) ٠ أيورث من لا يركب

---

١ ـ سورة ال عمران ٠ من الاية ١٧٨ ٠

٢ ـ روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ٠ وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال : ثم يقول ابو هريرة : اقرءوا ان شئتم : (تلك حدود الله) الى قوله : (عذاب مهين ٠ الايتان ١٣ ، ١٤ ٠

أقول : ولا يخلد في النار الا اذا استحل هذا الحرام ، او يكون المراد بالخلود لامثال هؤلاء العصاة : المكث الطويل ٠

٣ ـ ١١ ، ١٢ من سورة النساء ٠ وكلتيهما في توريث الاصول والفروع والازواج والاقارب والارحام ٠

الفرس ولا يقاتل العدوّ ولا يجوز الغنيمة نصف المال او جميع المال ؟!
استنكارًا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده ،
فمن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم كما استنكره
الذين ذكر امرهم ابن عباس ممن كان بين اظهر اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الاية فهو
من اهل الخلود في النار ، لانه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله
كافرا ، ومن ملة الاسلام خارجا . اهـ .

وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

يناله في جهنم العذاب الذي يذله ويخزيه ، فيضيف الى اللظى الذي
ينزع جلده ألما نفسيا باهانته وتحقيره .

مما أورد الحسن النيسابوري : .. ومما يؤكد كون الاية مخصوصة
بالكافر ان قوله : (ومن يعص الله ورسوله) تفيد كونه فاعلا للمعاصي ،
فلو كان المراد من قوله : (ويتعد حدوده) أيضا ذلك ، لزم التكرار ،
فوجب حمله على الكفر . وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث
فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب،
ويلزم منه الكفر ، والله اعلم بمراده . اهـ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا

الذين يجحدون العلامات الدالة على وجودنا ،ووحدانيتنا واقتدارنا،
ويكذبون بوحينا وكلماتنا ، ويفارقون الدنيا وهم كافرون بما جاءتهم به
رسلنا ، فوعيدنا لهم ما ينتظرهم من الالقاء بهم في لهب السعير ،يشويهم
فتحترق جلودهم ، فنعيد الجلود قوية بعد احتراقها .

وهنا مساءلة : هل يجوز ان يبدلوا جلودا غير جلودهم التي كانت
لهم في الدنيا فيعذبوا فيها؟ فان جاز ذلك عندك فأجز ان يبدلوا اجساما
وارواحا غير اجسامهم وارواحهم التي كانت لهم في الدنيا فتعذّب ، وان
أجزت ذلك لزمك ان يكون المعذبون في الاخرة بالنار غير الذين اوعدهم
الله العقاب على كفرهم به ومعصيتهم اياه ، وان يكون الكفار قد ارتفع
عنهم العذاب .

قيل : أعيدت جلودهم بعد احتراقها غير محترقة ، وذلك نظير قول

العرب للصائغ اذا استصاغته خاتما من خاتم مصوغ بتحويله عن صياغته التي هو بها الى صياغة اخرى : صغ لي من هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ، ويصوغ له منه خاتما غيره ، والخاتم المصوغ بالصياغة الثانية هو الاول ، ولكنه لما اعيد بعد كسره خاتما قيل : هو غيره ، فكذلك معنى قوله سبحانه : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) لما احترقت الجلود ثم اعيدت جديدة بعد الاحتراق قيل : هي غيرها على هذا المعنى ·

وقال اخرون : معنى ذلك : كلما نضجت سرابيلهم بدلناهم سرابيل من قطران غيرها فجعلت السرابيل القطران لهم جلودا كما يقال للشيء الخاص بالانسان : هو جلدة ما بين عينيه ووجهه ، لخصوصه به ، قالوا فكذلك سرابيل القطران التي قال الله في كتابه : (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) ١) لما صارت لهم لباسا لا تفارق اجسامهم جعلت لهم جلودا ، فقيل : كلما اشتعل القطران في أجسامهم واحترق بدلوا سرابيل من قطران أُخر ٢) ·

لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ

انما نفعل ذلك بهم فنرد اليهم جلودهم المحترقة ليدوم ألمهم ، وتخالط النار أبشارهم وسائر ابدانهم ، وتغتم نفوسهم وتكترب مما يقع بهم ·

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

تثبّتوا واستيقنوا ايها الناس ان الله ـ جل شأنه ـ كان وما يزال قويا لا يغلب ، عزيزا في انتقامه ممن ينتقم منه من خلقه ، لا يمتنع منه احد قضى ان يعذب ، ولا يجيره من الله المهيمن مجير ولا ينصره ناصر ، وربنا تبارك وتعالى لم يزل حكيما كامل الحكمة والتدبير ، ومن حكمته إيعاد العباد ·

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

والذين صدقوا بما جاء به رسولنا واستقاموا على شرعنا ، فأدّوْا

---

١ ـ سورة ابراهيم · الاية ٥٠ ·

٢ ـ من اول [وهنا مساءلة] الى كلمة [اخر] اقتبسته من [جامع البيان] بتصرف·

ما أمرنا به واجتنبوا ما نهينا عنه سندخلهم يوم الفصل يوم الحساب بساتين تجري من تحت اشجارها الانهار ، ونبقيهم في مساكن النعيم هذه بقاء أبديا لا ينتهي ٠

لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ

لهؤلاء المكرمين في تلك الجنات والحدائق والمساكن الطيبة ازواج طاهرات ، نساء مصونات عن الادناس والاقذار التي تكون في نساء اهل الدنيا ، وأُخَر انشأهن الله انشاء ، حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ٠

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

ونبوئهم ونحلهم من الجنة منازل وحدائق ظليلة اشجارها وقصورها٠

مما اورد النيسابوري : والمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب ١) فيه لالتفاف الاغصان ، ودائما لا تنسخه الشمس ، وسجساجا لا حر فيه ولا برد ٠ اهـ ٠

ونقل القرطبي عن الحسن : وصف بأنه ظليل لانه لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والسموم ونحو ذلك ٠

★ ★ ★

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم

اهل طاعتنا ندخلهم جنتنا ، ينعمون بملذات الابدان ، ومباهج الارواح ، فهم في معية الذين رضينا عنهم ، واعلينا اقدارهم ، ورفعنا درجاتهم ٠

يقول صاحب [الجامع لاحكام القران ٠٠] : وفي طاعة الله طاعة رسوله ، لكنه ذكره تشريفا لقدره ، وتنويها باسمه صلى الله عليه وسلم٠اهـ

مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ

---

١ - جوب : جمع جوبة وهي الفتحة والفرجة ٠ يعني ان الظل لا تتخلله فتحات تفرقه ، بل هو متضام متلاحم ٠

المطيعون لنا ولخاتم انبيائنا ، وكذا الذين استجابوا لدعوة من سلف من رسلنا يتجاورون ويتزاورون مع الأنبياء والصديقين ، والقتلى في سبيل الله ، والمستقيمين على طريق رضوان الله ٠

جاء في تفسير : غرائب القران ٠٠ : وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الاية ان كلهم في درجة واحدة ، فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ، ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان ١) لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا ، او اذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك، والتحقيق فيه : ان عالم الانوار لا تمانع فيها ولا تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ، ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة ٠٠٠ وذكر المفسرون اكثرهم ان الصديقين في الاية : كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى : (والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ٠٠) ٢) ٠ وقال قوم : هم أفاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ ولا واسطة بين الصديق والنبي ، ولذلك قال في هذه الاية : (من النبيين والصديقين) وفي صفة ابراهيم : (٠٠ انه كان صديقا نبيا) ٣) ٠٠ واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين ٤) ٠٠ قيل : هو الذي يشهد لصحة دين الله ، تارة بالحجة والبيان ، واخرى بالسيف والسنان ٠٠ واما الصالحون فالصالح الذي صلح في اعتقاده وفي عمله ، وهذه مرتبة لا ينبغي ان تنحط عنها مرتبة المؤمن ٠

وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا (٦٩)

ما احسن اولئك الرفقاء ، اذ الرفيق مما يستوي فيه الواحد

---

١ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان أحبكم الي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطنون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون ٠٠» ، فهذا مما يستشهد به على ان المعية لا تمنع القرب المكاني مع تفاوت في الدرجات٠

٢ ـ سورة الحديد ٠ من الاية ١٩ ٠

٣ ـ سورة مريم ٠ من الاية ٤١ ٠

٤ ـ عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الشهيد فيكم » ؟ قالوا : يارسول الله ! من قتل في سبيل الله ٠ قال : « ان شهداء امتي اذا لقليل ،من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات بالبطن فهو شهيد » وفي رواية : « ومن مات بجمع فهو شهيد » وجمع : المزدلفة ٠

والجمع ، ونصــــبه على الحــال او التمييز ، وسمي الصــاحب رفيقــا لما يكون من لين الجانب ولطافة المعاشرة ، وذلك يحقق خلق الرفق ، ويُرتفق ويُستعان بمثله ٠

من سورة الانعام

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

من يلق ربه يوم القيامة وقد عمل صالحا في دنياه فان ربنا الشكور يجزيه على كل حسنة بثواب يعدل عشرة امثال اجرها ٠

ومن الحسنات حسنات يهب الله فاعليها مثوبة اكبر واكثر ، يقول الله جلا علاه : (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ٠٠) ١) ٠

ومما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل «فمَن هَمّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فان هو هَمّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ٠٠» ٢) ٠

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

والذين عملوا السيئات وماتوا دون توبة فان الله لا يجازيهم على السيئة الا بجزاء يماثلها لا يزاد على هذا القدر شيء ، وقد يعفو سبحانه

في الحديث القدسي المروي في الصحيحين : عن ابن عباس« ٠٠ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة فان هو هَمّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » ٠

---

١ ـ سورة البقرة ٠ من الاية ٢٦١ ٠

٢ ـ روى البستي في صحيح مسنده عن ابن عمر قال : لما نزلت هذه الاية : (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ٠٠) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب زد أُمّتي » فنزلت :(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ٠٠) سورة البقرة من الاية ٢٤٥ ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب زد أُمّتي » فنزلت : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) سورة الزمر من الاية ١٠ ٠

يقول صاحب تفسير القران العظيم ١) : واعلم ان تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة اقسام : تارة يتركها لله ، فهذا تكتب له حسنة على كفه ٢) عنها لله تعالى ، وهذا عمل ونية ، ولهذا جاء انه يكتب له حسنة كما جاء في بعض الفاظ الصحيح : « فانما تركها من جرائي » اي من أجلي ؛ وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها ، فهذا لا له ولا عليه ، لانه لم ينو خيرا ولا فعل شرا ؛ وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعي في اسبابها ، والتلبس بما يقرب منها ، فهذا بمنزلة فاعلها ، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » فقلت ٣) يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « انه كان حريصا على قتل صاحبه » ٤) ٠اهـ

من سورة الرعد

جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا

جنات الخلد ، والاقامة التي لا ظعن معها ولا تحوُّل عنها ، يدخلها اصحاب العقول المدركة لحقائق الايمان ٥) والاحسان ، وعاقبة الثبات على النهج القويم ، والصبر في سبيل الله على المكاره،ودفع العمل السيء بالعمل السليم ودرء المنكر بالمعروف ـ يدخل هؤلاء الجنة العالية ٠

في صحيح البخاري : « اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فانه اوسط الجنة ، واعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر انهار الجنة » ٠ فدل هذا على ان الجنة منازل ، فيها المفضول والفاضل ، وصدق الله العظيم : (٠٠ وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) ٦) ٠

---

١ ـ هو الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ٠

٢ ـ كفه عنها : تركه لها ، وامتناعه منها ، وتباعده عن فعلها ٠

٣ ـ الذي نقله ابن كثير : [قالوا] ٠ مع ان المتفق عليه ان أبا بكرة لقي الاحنف بن قيس وهو يريد نصرة رجل ٠٠ فقال له : ارجع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان ٠٠» فقلت يا رسول الله ! ٠٠ الخ الحديث٠

٤ ـ رواه ابو بكرة ٠ متفق عليه ٠ اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٨٣٤ ٠

٥ ـ ذلك ما تبينه الايات الكريمات السابقات على تلك الاية : (٠٠ انما يتذكر اولو الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ٠ والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ٠ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار) ٠

٦ ـ سورة الاسراء ٠ من الاية ٢١ ٠

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : ان في الجنة قصرا يقال له : عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة ١) لا يدخله إلا نبي او صديق او شهيد ·

كما روى عن الضحاك في قوله : (جنات عدن) قال : مدينة الجنة، فيها الرسل والانبياء والشهداء ، وائمة الهدى ، والناس حولهم بعد ، والجنات حولها · اهـ ·

وفي اللغة : عدن بالمكان : اذا أقام فيه ·

وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ

ويدخل معهم دار المقامة الصالحون من ابائهم وامهاتهم ونسائهم واهليهم وذرياتهم ، وان لم يعمل مثل اعمالهم ، يلحقه الله بهم كرامة لهم ، وتلك من دعوات الملائكة للمؤمنين : (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز الحكيم) ٢) ·

قال ابن عباس : هذا الصلاح : الايمان بالله والرسول ، ولو كان لهم مع الايمان طاعات اخرى لدخلوها بطاعتهم لاعلى وجه التبعية ·

ومما نقل الواحدي : ·· الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة ، فلو دخلوها بالاعمال الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع · اهـ ·

وبشرى من الله للمؤمنين انه سبحانه سيلحق بهم فصولهم في مستقر الرحمة من غير ان ينقص ذلك من اجور المكرمين : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ··) ٣) ·

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾

يدخل ملائكة الجنة بالعطايا والهبات من عند الله تكرمة لهؤلاء السعداء يطلعون عليهم من كل باب من ابواب دار المقامة ·

وقال ابو بكر الاصم : من كل باب من ابواب البر : كباب الصلاة ، وباب الزكاة وباب الصبر ·

---

١ ـ الحبرة : صنف من برود اليمن مخطط ، تتخذ منه الستور على الابواب ·

٢ ـ سورة غافر · الاية ٨ ·

٣ ـ سورة الطور · من الاية ٢١ · وما التناهم:اي وما نقصنا من أجور عمل آباءالذرية·

ويقول النيسابوري : وقد يستدل بالاية على ان الملك أفضل من البشر، والا فلم يكن دخولهم على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم · ويمكن ان يجاب عنه بأن وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجيء · اهـ ·

سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ

يدخل عليهم الملائكة : من ههنا وههنا للتهنئة بدخول الجنة ، فعند دخولهم تفد عليهم الملائكة مسلمين يقولون : قد سلمكم الله من الآفات والمحن وأدخلكم دار السلام ، او دعاء لهم بدوام السلامة ، نلتم هذه السلامة في مستقر الخلد والكرامة بصبركم على أمر الله تعالى ونهيه ، او على ملازمة الطاعة وفراق المعصية او بصبركم عن اتباع الشهوات او عما تحبونه اذا فقدتموه · وقيل : على الجهاد في سبيل الله (١) ·

ونقل صاحب الجامع لاحكام القران ! وعن عبد الله بن سلام وعلي ابن الحسين رضي الله عنهم انهما قالا : اذا كان يوم القيامة ينادي مناد : ليقم أهل الصبر ! فيقوم ناس من الناس ، فيقال لهم : انطلقوا الى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : الى اين ؟ فيقولون : الى الجنة · قالوا : قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! فيقولون : من انتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر · قالوا : وما كان صبركم ؟ قالوا : صبّرنا انفسنا على طاعة الله ،وصبّرناها عن معاصي الله ، وصبّرناها على البلاء والمحن في الدنيا ! قال علي بن الحسين : فتقول لهم الملائكة : سلام عليكم بما صبرتم · اهـ ·

فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها ، عملتم فيها ما اعقبكم هذا النعيم ·

---

١ - روى القرطبي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون من يدخل الجنة من خلق الله » ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم · قال : « المجاهدون : الذين تسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكارة ، فيموت احدهم وحاجته في نفسه لا يستطيع لها قضاء ، فتأتيهم الملائكة ، فيدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ·
كما نقل البيهقي بسنده عن ابي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي الشهداء ، فاذا أتى فرضة الشعب [فوهة فرجة بين جبلين بأحد] يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » · ثم كان ابو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد ابي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله · اهـ ·

من سورة مريم

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ

أمر من الله تعالى إلى نبيه أن يخوف الناس اهوال يوم القيامة ، ويحذرهم الوقوع في الكفر والفسوق الذي يُعقّب اصحابه ندامة وغمّا يوم يحكم الله بين العباد ٠

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش املح ١) فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا اهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون ٢) وينظرون ويقولون : نعم ! هذا الموت ــ قال ــ ثم يقال ، يا اهل النار ! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ! هذا الموت ــ قال ــ فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا اهل الجنة خلود فلا موت ، ويا اهل النار خلود فلا موت ــ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) » ٠ خرجه الامام البخاري بمعناه عن ابن عمر رضي الله عنهما ٠

وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

والناس الاشقياء في غفلة عما ينتظرهم يوم الوعيد ، ولا يصدقون بيوم الدين ، ولا بجزاء الله للمتقين والمجرمين ٠

يقول الامام ابو جعفر محمد بن جرير : وقوله : (وهم في غفلة) يقول : وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم ، من تخليده اياهم في جهنم ، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم (وهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره : وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث ومجازاة الله إياهم على سيء اعمالهمبماالخبر أنه مجازيهم به٠اهـ

---

١ ـ الاملح : الذي بياضه اكثر من سواده ٠ وقيل : النقي البياض ٠

٢ ـ يشرئبون : يمدون اعناقهم متطلعين ٠

من سورة الحج

.. فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ

الكافرون يعذبون في جهنم اغلظ العذاب ، ففراشهم لهيب ، وغطاؤهم لهيب : (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين) ١) ومع ذلك تحيط بهم النار احاطة الثياب بالجسد ·

مما أورد القرطبي : خيطت وسويت · وقوله : (قطعت) اي تقطع لهم في الاخرة ثياب من نار ، وذكر بلفظ الماضي لان ما كان من أخبار الاخرة فالموعود منه كالواقع المحقق · قال الله تعالى : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس ··) ٢) ·

يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

يفاض الماء المغلي في حر السعير على رؤس المعذبين ، وهو غوثهم وشرابهم ، كما قال الله عز شأنه : (·· وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب ··) ٣) وفي اية ثانية : (ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم) ٤) ·

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾

الحميم الذي يراق عليهم ، ويتسرب الى اجوافهم يذيب الاحشاء ويحرق الجلود،يقول الله جل‌علاه:(··وسقوا ماء حميمافقطع امعاءهم)٥)·

وأورد القرطبي في تفسير هذه الاية حديثا خرجه الترمذي وصححه ٦) ·

---

١ ـ سورة الاعراف · الاية ٤١ ·
٢ ـ سورة المائدة · من الاية ١١٦ ·
٣ ـ سورة الكهف · من الاية ٢٩ ·
٤ ـ سورة الصافات · الاية ٦٧ ·
٥ ـ سورة محمد · من الاية ١٥ ·
٦ ـ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه ، فيسلت‌ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » · قال · هذا حديث حسن صحيح غريب·

وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)

بأيدي خزنة النار مطارق لضرب هؤلاء الاشقياء ودفعهم

كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا

اذا اجتمع الى العذاب الحسي الكرب النفسي عظم الضيق والهمّ ، فكلما همّوا بمحاولة الفكاك من هذا الضنك ردّتهم الملائكة الغلاظ الشداد .

وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢)

ونودوا – ربما من الخزنة – : تقلبوا في الام الشي والتعاسة ، فجمعوا إلى العذاب الفعلي عذابا قوليا .

فاللهم قنا عذاب النار ، وأدخلنا الجنة مع الابرار .

من سورة الزمر

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا

هذا بيان حال الاشقياء الكفار حين يساقون جماعة تِلْو جماعة الى النار .

قال الاخفش وابو عبيدة : (زمرا) جماعات متفرقة،بعضها إثربعض

يقول الشاعر : وترى الناس الى منزله زمرا تنتابه بعد زمر

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

فور وصولهم إليها تفتح لهم ابوابها سريعا ، لتعجل لهم العقوبة .

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ

يقول خزنة جهنم وهم الزبانية غلاظ الاخلاق شداد القوى – يوبخون

الفجار ويقرعونهم ويمعنون في النكال بهم ـ : ألم يبعث الله إليكم رسلا من جنسكم ، ويتكلمون بلسانكم ، يبينون لكم سبيل فوزكم ونجاتكم ، ويبلغونكم الهدى المنزل من ربكم ويخوفون ويحذرون من هول هذا اليوم وشره ؟ . قال الكفار : بلى لقد جاءتنا رسلنا فأنذرتنا عبوس هذا اليوم وعسره

وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾

شهدوا على انفسهم بالجحود ، ورجعوا عليها بالملامة والندامة ، بما كذبوا المرسلين ، وصدّوا عن الحق المبين (..كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) ١) (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) ٢) .

قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا

فيقول خزنة جهنم للذين كفروا ـ بعد إقرارهم على انفسهم بما كانوا يُصرون عليه من الخبال ، ويؤثرونه من الضلال ـ ادخلوا من ابواب جهنم السبعة ـ أجارنا الله منها ـ ويزجون فيها على قدر ما اقترف كل منهم من آثام ، وما اجترح في دنياه من سيئات ، مصداقا لقول الله سبحانه : (وإن جهنم لموعدهم اجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) ٣) .

فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

وتملأ الخزنة قلوب المعذبين حسرات ، فتخبرهم ان منازلهم التي أنزلوها في السعير لا خروج منها ، ولا زوال لهم عنها ، بل هم فيها ماكثون ، فبئس المقيل والمستقر ! وأي مثوى اتعس من لهيب مسعر يحيط بأجسادهم ومن فوق رؤسهم ومن تحتهم ؟ ! (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ..) ٤) ونزلهم شجرة الزقوم (كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) ٥) جزاء وفاقا للتأبي على الحق في الدنيا ، والصد عن سبيل الهدى ، والتعالي عن الإذعان لامر ربنا الكبير المتعال .

---

١ ـ سورة البقرة . من الاية ١٦٧ .   ٢ ـ سورة الاحزاب . الايات : من ٦٦ ـ ٦٨
٣ ـ سورة الحجر . الايتان : ٤٣ ، ٤٤ . ٤ ـ سورة الزمر . من الاية ١٦ .
٥ ـ سورة الدخان . الايتان : ٤٥ ، ٤٦ .

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا

وتساق مراكب ١) السعداء الاتقياء ونجائبهم ـ بعد الحساب ـ وفدا إلى الجنة ، وجماعة بعد جماعة : المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٠

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

حتى اذا شارفوها وجدوها مهيأة كأنما تترقب قدومهم ، مفتحة الابواب ، تكريما لهم،كما قال الله تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) ٢) ٠

وقيل في التعليل لزيادة الواو في قول الله تبارك وتعالى في أهل الجنة (٠٠ حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها ٠٠) عنها في قوله سبحانه في أهل النار : (٠٠ حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها ٠٠) قالوا : ان هذه الواو واو الثمانية ، وذلك منعادة قريش انهم يعدون منالواحد فيقولون : خمسة ستة سبعة وثمانية ، فاذا بلغوا السبعة قالوا : وثمانية ٠ قاله ابو بكر بن عياش ٠ قال الله تعالى : (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام..) ٣) وقال : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ٠٠) ٤) وقال : (٠٠ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ٠٠) ٥) وقال : (عسى ربه إن طلقكن أنيبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا) ٦) ٠

---

١ ـ قال جار الله : المضاف هنا محذوف ٠ اي وسبق مراكب الذين اتقوالانهم لا يذهبون الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا ٠اهـ ٠

٢ ـ سورة ص ٠ الاية ٥٠ ٠   ٣ ـ سورة الحاقة ٠ من الاية ٧ ٠

٤ ـ سورة التوبة ٠ من الاية ١٢٢ ٠ فجاء في الوصف الثامن وقرنه بالواو ٠

٥ ـ سورة الكهف ٠ من الاية ٢٢ ٠

٦ ـ سورة التحريم ٠ الاية ٠٥ فجاء في الصفة الثامنة وقرنها بالواو ٠

واستدل بهذا ١) من قال : ان أبواب الجنة ثمانية ٢) ٠

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

اذا جاء المؤمنون إلى الجنة أفواجا : الأنبياء والشهداء والعلماء والقراء والاتقياء ، ووجدوا ابوابها مفتوحة ـ تعظيما لهم ـ وتلقّتهم الملائكة الخزنة ـ اذا كان هذا سعدوا وطابوا وفرحوا وسرّوا ، فيكون هذا تقدير جواب (اذا) المحذوف ٠

سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ

سلمتم من احوال الدنيا واهوال الاخرة فبشرى لكم ، او دعاء لهم بدوام السلامة ٠

طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

طبتم نفسا بما نلتم من الجنة ونعيمها ، أو طابت اعمالكم واقوالكم وسعيكم في الدنيا ، فطاب اليوم مثواكم وجزاؤكم ٠

أو طبتم من دنس المعاصي ، وطهرتم من خبث الخطايا ، فأكرمكم ربكم

---

١ ـ قال ابن كثير : وانما يستفاد كون ابواب الجنة ثمانية من الاحاديث الصحيحة ٠ قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ، اخبرنا معمر عن الزهري عن حميد عبدالرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من انفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعى من ابواب الجنة ، وللجنة أبواب فمن كان من اهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ! ما على احد ضرورة دعى من ايها دعى ، فهل يدعى منها كلها احد يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم ! وارجو ان تكون منهم » ٠ رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه ، وفيهما منحديث ابي حازم سلمة ابن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة ثمانية ابواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » هكذا اورد ابن كثير ٠ وكلمة « زوجين » بمعنى صنفين ٠

٢ ـ من اول كلمة [وقيل] الى [ثمانية] نقلته من تفسير القرطبي ، بتصرف ٠

بدخول دار النعيم والمكث فيها ، لأنها دار طهّرها الله من كل رجس فلا ينالها إلا من هو موصوف بصفتها ، وابقوا فيها ممتّعين ،وما انتم منها بمخرجين·

من سورة غافر

وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

يقول المعذبون في جهنم لخزنتها وسجانيها وقوّامها ـاستغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ، ورجاء ان يجدوا من عندهم شفاعة ـ يسألونهم التضرع إلى الله ان يخفف عنهم ما وقع بهم من العذاب الذي يعانون من شدته وألمه ، ولو قدر يوم واحد من ايام الدنيا ·

وأيام الآخرة ليست كأيام الدنيا ، اذ من المعلوم أن دورة الارض وحركة الشمس والقمر يتسبب عنها حدوث الليل والنهار وتقلبهما،والقرآن الكريم يمتن على العباد بتعاقب هاتين النعمتين ، وأثرهما في تحديد المواقيت ، وتعليم العقلاء عدد الايام ، وحساب الشهور والأعوام·يقول الله جل علاه : (وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ··) [١]· فاذا بدل الله الارض غير الارض والسموات ،وجمع الشمس والقمر ، لم يعد هناك ليل ولا نهار ، وهما مجموع اليوم من ايام الدنيا ·

جاء في جامع البيان ما نصه : انما قلنا معنى ذلك قدر يوم من أيام الدنيا ، لان الاخرة يوم لا ليل فيه فيقال : خفت عنهم يوما واحدا · اهـ ·

قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ

قالت خزنة جهنم للذين هم فيها : او لم تك تأتيكم رسلكم الذين بعثهم الله اليكم بالبينات من الحجج على توحيد الله فتوحدوه وتؤمنوا به وتتبرءوا مما دونه من الآلهة ؟ قالوا : بلى قد اتتنا رسلنا بتلك الدلائل والحجج والعلامات والآيات ·

---

١ ـ سورة الاسراء · من الاية ١٢ ·

قَالُوا۟ فَادْعُوا۟ ۗ

قالت الخزنة لهم : فادعوا اذا ربكم ! وما ينفعكم دعاؤكم ، ونحن برءاء منكم ولن ندعوا لكم ·

وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾

وسواء دعوتم ام لم تدعوا لن يخفف عنكم وانما دعاؤكم الى ذهاب ، لا يقبل ولا يستجاب · فاللهم لا تخزنا ، وقنا يا ربنا عذاب النار ·

من سورة الزخرف

ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾

ينادى أهل الايمان والاسلام من لدن ربنا ذي الجلال والإكرام : ان ادخلوا الجنة ومعكم ازواجكم : نساؤكم اللائي تزوجتموهن في الدنيا ، وقاصرات الطرف الحسان اللاتي لم يطمثهن إنس قبلكم ولا جان ، وصدق الله العظيم : (·· وزوجناهم بحور عين) ١) · وسكناهن معكم في البساتين والخيام ، والمساكن الطيبة والقصور : (·· لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) ٢) ·

واستبشروا بمقام لا كدر فيه ولا غم . ولا تنغيص ولا شقاق ولا هم: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور · الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب) ٣)· فهم في كرامة ورفعة ونعمة وسرور · والحبور : السعادة والسرور ·

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ

الطعام والشراب يقدمان في آنية الذهب ، فالاطباق والاكواب ذهبية خالصة ·في الصحيحين عن حذيفة انهسمع النبي صلى الله عليه وسلميقول

---

١ ـ سورة الطور · من الاية ٢٠ ·
٢ ـ سورة الزمر · من الاية ٢٠ ·
٣ ـ سورة فاطر · الايتان ٣٤ ، ٣٥.

« لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » ·

« لهم » يعني للذين لا يرجون لقاء الله ، واطمأنوا الى زخارف الدنيا، وأحبّوها وأترفوا فيها ، وتعدّوا حدود الله ، وجحدوا شرعه ·

قال الكسائي : اعظم القصاع : الجفنة ، ثم القصعة تليها تشبع العشرة ، ثم الصحفة تشبع الخمسة ، ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة ، ثم الصحيفة تشبع الرجل · وقال الجوهري : الكوب : كوز لا عروة له ·

وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ

وفي الجنة كل ما تتمناه النفوس ، وتشتاق إلى مطالعته العيون ، وكل ما طاب وأعجب مذاقه ومرآه ·

وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾

يبشرهم ربهم بالبقاء في دار التنعيم والتكريم (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم · فضلا من ربك ··) ١) (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) ٢) ·

★★★

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾

الفجّار الاشرار مأواهم النار يمكثون في سجنها وحرها وسعيرها ، يبقون على ذلك ابدا (·· وما هم بخارجين من النار ٣) ويغص الشقي – فوق غصته بطعام الزقوم والغسلين – بكربه ونوبه ، ٤) وظمئه وسغبه ٥) ، فلا يدرك راحة ولا غوثا (·· ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ··) ٦) ·

---

١ – سورة الدخان · الاية ٥٦ ومن الاية ٥٧·   ٢ – سورة الحجر · الاية ٤٨ ·

٣ – سورة البقرة · من الاية ١٦٧ ·

٤ – الكرب : الضوائق التي تغتم بها النفس ، والنوب ، البلايا ·

٥ – السغب : الجوع ، وهكذا طعام النار (ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع) سورة الغاشية · الايتان ٦ ، ٧ ·

٦ – سورة ابراهيم · من الايتين : ١٦ ، ١٧ ·

لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

لا ينقطع العذاب عنهم فترة ، ولا تخف حدّته مرّة ، وهم تحت هـذا الضنك والكرب حائرون محزونون (اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون · في الحميم ثم في النار يسجرون) ١) ·

وأية تعاسة تبلغ شقوة المعذب الموثق بالسلاسل (الذي يصلى النار الكبرى · ثم لا يموت فيها ولا يحيى) ٢) (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ··) ٣) ·

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ

جزيناهم ببغيهم (·· وهل نجازي الا الكفور) ؟ ٤) وما هلك على الله الا هالك : (انه كان لا يؤمن بالله العظيم · ولا يحض على طعام المسكين · فليس له اليوم ها هنا حميم · ولا طعام الا من غسلين · لا يأكله الا الخاطئون) ٥) (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير · فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) ٦) ·

وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

ظلموا انفسهم بالصد عن الهدى وكراهية الحق،وعظم ظلمكم بالفساد في الأرض ، والبغي على الخلق ، ومجاوزة الحد ، وعصيان الله ورسوله ·

وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ

نادي المجرمون خازن النار الملك الموكل بها مالك ، مستغيثين به بعد ما عانوا من عذابها وبلائها قائلين : ليمتنا ربك ويقبض ارواحنا فيريحنا مما نقاسي ! ·

قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾

---

١ ـ سورة غافر · الايتان : ٧١ ، ٧٢   ٢ ـ سورة الاعلى · الايتان : ١٢ ، ١٣·
٣ ـ سورة فاطر · من الاية ٣٧ ·   ٤ ـ سورة سبأ · من الاية ١٧ ·
٥ ـ سورة الحاقة · الايات : من ٣٣ ـ ٣٧ · ٦ ـ سورة الملك · الايتان : ١٠ ، ١١ ·

يجيبهم مالك عليه السلام ! إنكم ماكثون لا خروج لكم منها ، ولا محيص عنها ، وهم بعد اقرارهم لله تعالى بضلالهم ، وسؤالهم اياه ان يخرجهم ليعملوا خيرا مما عملوا ، يناديهم عز شأنه (٠٠ اخسئوا فيها ولا تكلمون ٠ انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ٠ فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) ١) ٠

من سورة الواقعة

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾

خير الناس منزلة يوم القيامة المسارعون بالخير ، وكرر للتوكيد ٠

او السابقون الى الايمان بالله ونصرة دينه واتباع نبيه هم السابقون يوم ثواب الله وجزائه ٠

نقل عن سعيد بن جبير : (السابقون) الى [المراقبة] واعمال البر ٢) ، قال الله تعالى : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) ٣) ثم أثنى عليهم بقوله : (اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) ٤) ٠

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾

هؤلاء هم أهل القرب من رضوان الله والفردوس الاعلى، المقربون الى [مقامات لا يكشف عنها المقال من الجمال] ٥) ، وتأمل معي قول ربنا الكبير المتعال : (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ٠٠) ٦) ٠

فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

---

١ ـ سورة المؤمنون ٠ من الاية ١٠٨ والايتان : ١٠٩ ، ١١٠ ٠

٢ ـ اورد القرطبي ما نصه : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «السابقون : الذين اذا اعطوا الحق قبلوه،واذا سئلوه بذلوه،وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم»

٣ ـ سورة المؤمنون ٠ الاية ٥٧ ٠ والذي نقل عنه : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) فلعله خطأ ممن نقل عن سعيد رضي الله عنه ٠

٤ ـ سورة المؤمنون ٠ الاية ٦١ ٠

٥ ـ العبارة التي بين القوسين اقتبستها من تفسير غرائب القران ٠

٦ ـ سورة السجدة ٠ من الاية ١٧ ٠

هم في جنان وفراديس أسمى من سائر الجنات (٠٠ وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) ١) ٠

روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا انشئتم (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين) »٠

ورويا عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان اهل الجنة ليتراءون ٢) الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء »٠

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾

طائفة وجماعة من هؤلاء المقربين هم من سلفنا الصالحين ، وقلة ممن يأتي بعدهم من اللاحقين ، فاللهم اجعلنا منهم بفضلك يا كريم ٠

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾

يجلس المقربون على أسرة منسوجة بالذهب ـ كما قال ابن عباس ـ او مشبّكة بالدر والياقوت والزبرجد ـ روى هذا عن عكرمة وطائفة من مفسري السلف ٠

واللغويون عرفوا الوضن بأنه النسج المضاعف المحكم ، ومنه الوضين:بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض ، ومنه قول الشاعر: إليك تعدو.قلقا وضينها ٣) ٠

مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

كل منهم متكيء على سريره ، وجهه الى وجه بقية أحبابه ، يتكئون متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض ٤) ٠

---

١ ـ سورة الاسراء ٠ من الاية ٢١ ٠

٢ ـ ليتراءون : لينظرون ٠ اي لينظرون الى اهل الغرف في الدرجات العلا من الجنات كما ينظرون الى الكوكب في السماء لما بين الدرجتين من بعد المسافة ٠

٣ ـ الضمير يعود على الناقة ٠ من طول سيرها ضمرت فاتسع رباط رحلها ٠

٤ ـ يقول الامام القرطبي : هذا في المؤمن وزوجته وأهله ٠ أقول : جاء في اية اخرى : (٠٠ اخوانا على سرر متقابلين) سورة الحجر ٠ من الاية ٤٧ ٠

وهي سرر ليست كتلك التي نرى ، بل حشياتها كما وصف القـــرآن الكريم : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق ٠٠) ١) (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) ٢) ٠

قيل لسعيد بن جير : البطائن من استبرق ، فما الظواهر ؟ قال : هذا مما قال الله : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ٠٠) ٣) وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليها قلوبكم ، فأما الظواهر فلايعلمها الا الله ٠ ومما يقول الكلبي ٠٠ اذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت ، فاذا جلس عليها ارتفعت ٠

أقول : وكأنه يشير بهذا الى ما تضمنته الاية الكريمة : (فيها سرر مرفوعة) ٤) ٠

ونفائس الاثاث والرياش بعد ، فالطنافس والنمارق محشودة موفورة (ونمارق مصفوفة ٠ وزرابيّ مبثوثة)٥) ٠فاللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى٠

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

يطوف على المقربين فتية يافعون جندهم المولى العليّ الكبير لخدمـة هؤلاء الابرار الاخيار ـ ولعل من الحكمة في جعلهم ولدانا انهـم اخف واسرع ـ وهم لا يموتون ولا يهرمون (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) ٦) ٠

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾

يقدم هؤلاء الولدان للمنعمين الشراب في اوان مختلفة متفاوتة : فمن أكواب ـ كيزان لا آذن لها ـ الى كئوس ذات عرى وآذان ، الى اباريق لها عرى وخراطيم ، والشراب من نبع متدفق من خمر الجنة ٠

والكأس عند أهل اللغة : اسم شامل لكل إناء مع شرابه فان كان فارغا فليس بكأس ، وانما هو قدح او اناء ٠

---

١ ـ سورة الرحمن ٠ من الاية ٥٤٠ ٢ ـ سورة الرحمن ٠ الاية ٧٦ ٠

٣ ـ سورة السجدة ٠ من الاية ١٧ ٤ ـ سورة الغاشية ٠ الاية ١٣ ٠

٥ ـ سورة الغاشية ٠ الايتان : ١٥ ، ١٦ ٠ ٦ ـ سورة الطور ٠ الاية ٢٤ ٠

وفي آية اخرى يبين الله الحكيم مشارب شتى في الجنة ، تجـــري جريان الانهار : (٠٠ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفّى ٠٠) ١) ٠

وهكذا : اما ان تملأ الكؤوس للابرار من نهر خمر يجري في الجنة ، وإما من عين ونبع يتدفق بها ٠

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾

لا تعقب شاربيها صداعا في رؤوسهم ولا غيابا لعقولهم،وإنمايتلذذون في صحو بشرابها (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) ٢) ٠

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾

ويطوف الولدان المخلدون على السابقين المقربين بالطيب المختار من الفاكهة اية فاكهة : (٠٠ ولهم فيها من كل الثمرات ٠٠) ٣) (٠٠كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأُتوا به متشابها٠٠)٤)٠ فالسدر المخضود ، والطلح المنضود ، والنخل والرمان (وفاكهة كثيرة ٠ لا مقطوعة ولا ممنوعة) ٥) ٠

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

مع الوان الشراب ، وصنوف الفاكهة ، تقدم لهم اطايب الطعام ، واذا كان سيد الطعام اللحم ـ كما هو معلوم ـ فان اشهى اللحوم لحم الطير (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) ٦) ٠

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾

---

١ ـ سورة محمد ٠ من الاية ١٥ ٠

٢ ـ سورة الصافات ٠ الاية ٤٧ ٠ اي لا تغتال العقول ، ولا تستخرج القول المرذول ، وانما كما بين القران العزيز (٠٠ لا لغو فيها ولا تأثيم)٠

٣ ـ سورة محمد ٠ من الاية ١٥ ٠

٤ ـ سورة البقرة ٠ من الاية ٢٥ ٠

٥ ـ سورة الواقعة : الايتان : ٣٢ ، ٣٣٠

الحور جمع ، واحدتها : حوراء · والحَوَر شدة بياض العين مع شدة سواد حدقتها · ومفرد العين : عيناء وهي واسعة العينين ·

للمتقين المفضلين ، والمكرمين المنعمين زوجات هنّ حور عين ،فضلا عن نسائهم وزوجاتهم في الدنيا · لكن القران وصف الحور فقال : (كأنهن الياقوت والمرجان) ١) ·

مما روى الشيخان عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – في صفتهن – : « ·· ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ·

كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾

هن في جمال خلقهن ، وصفاء مظهرهن ، وتشاكل اجسادهن،وحسنهن من كافّة جوانبهن ، يشابهن اللؤلؤ الذي لم تمسه الايدي ، ولم يخالطه الغبار ، فهو أشد ما يكون صفاء وتلألؤا ·

من سورة التحريم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

يأمر الله عباده الذين صدقوه ورسله أن يقيموا بينهم هم وأهلهم وبين جهنم وقاية ، وذلك بأن يصلحوا أنفسهم بإنفاذ امر الله واجتناب نهيه ، ويعلموا قرابتهم وذريتهم ونساءهم ومن يلونهم ما فرض الله عليهم وما حرم، ويؤدبوهم ، ويجنبوهم المعاصي والآثام ·

يقول القرطبي : فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح أهله ! صلاح الراعي للرعية ، ففي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم ، والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم » ·اهـ ·

---

١ – سورة الرحمن · الاية ٥٨ ·

ونقل القرطبي عن قتادة : أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته، وان يقوم عليهم بأمر الله ، يأمرهم به ويساعدهم عليه،فاذا رأيت لله معصية رددتهم عنها وزجرتهم عنها ٠ اهـ ٠

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ

حطب الجحيم الذي يلقى فيها وتسعّر به ليس الا جثث العصاة ، والأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله ، لقوله تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ٠٠) ١) ٠

عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ

يقوم على حراسة النار ملائكة طباعهم غليظة ، لا تأخذهم بالمجرمين رأفة ، ولا بالكافرين رحمة ، شداد القوى والأبدان ٠

لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ

الخزنة الزبانية لا يخالفون الله تعالى في أمره ،لا بزيادة ولابنقصان ، ومهما تمنّى المعذب ان يفتك من محبسه بأي مقابل لا يخلى سبيله (٠٠ يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ٠ وصاحبته واخيه ٠ وفصيلته التي تؤويه ٠ ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ٠ كلا إنها لظى ٠ نزاعة للشوى)٢) (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) ٣) ٠

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

ينفذ الخزنة أمر الله سبحانه في وقته من غير تقديم أو تأخير او تقصير ، هذا يؤخذ بالنواصي والاقدام ، وذاك يسحب في النار على وجهه ، وهؤلاء يربط الواحد منهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ، وآخر تندلق امعاؤه في النار فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، والملائكة الموكلون بها قادرون ـ بإقدار الله ـ على فعل ما يؤمرون به ، ليس بهم عجز عنه ٠

فاللهم تجاوز عن سيئاتنا في اصحاب الجنة ٠

---

١ ـ سورة الانبياء ٠ من الآية ٩٨ ٠

٢ ـ سورة المعارج ٠ من الآية ١١ والايات من ١٢ ـ ١٦ ٠ ٣ ـ سورة المائدة ٠ الآية٣٧٠

من سورة المدثر

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾

وما أعلمك أي شيء سقر ؟ ! إنها عظيمة الهول ، بالغة النكال ، عجيبة الاحوال ·

[وإنما سميت سقر : من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحته ، وأحرقت جلدة وجهه ، ولا ينصرف للتعريف والتأنيث] ١) ·

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾

لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا ، لان شدة بلائها تكاد تميته وما هو بميت ، يقول الله عز شأنه : (وما أدراك ما الحطمة · نار الله الموقدة · التي تطلع على الافئدة · إنهاعليهم مؤصدة · في عمد ممددة) ٢) ·

وكيف تبقى او تذر افران صهر مغلقة ، والسنة لهب مندلعة متطاولة ، وتمديدات جهنمية في عمد منبثة في شتى نواحيهم ؟ ! ·

نعوذ بالله من مقته وعذابه ·

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾

مغيرة هي لأحوال المعذبين · والعرب تقول : لاحه البرد والحروالسقم والحزن : اذا غيره ، ومنه قول الشاعر :

تقول مالاحك يا مسافر   يا بنة عمي لاحني الهواجر ٣) ·

وقال ابن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا ، نظيره : (وبرزت الجحيم للغاوين)٤· ·

أقول : والقرآن الكريم يبين أنها واصحابها يتراءون من مسافات مترامية (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) ٥) ·

---

١ ـ اقتبست العبارة التي بين القوسين من : الجامع لاحكام القران ·

٢ ـ سورة الهمزة · الايات من ٥ ـ ٩ ·

٣ ـ غيرني حر الشمس ، والارتحال في القيظ ·

٤ ـ سورة الشعراء · الاية ٩١

٥ ـ سورة الفرقان · الاية ١٢ ·

والبشر ربما تكون بمعنى : الأناسي من أهل النار ، او بمعنى جلدة الأجسام الظاهرة ، حيث يعذب فيها الجاحدون من الانس والجن كما حكى كتاب الله تعالى عنهم : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ١) فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا • وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) ٢) (يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم منعذاباليم)٣) •

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)

يقوم على عذاب اهل سقر ويتولى سجنهم في محبس النار خزنتها وعددهم تسعة عشر ملكا هم مالك وثمانية عشر من الجند الآلهي •

يقول الثعلبي : ولا ينكر هذا ، فاذا كان ملك واحد يقبض ارواح جميع الخلائق ، كان احرى ان يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق •

عن ابن عباس وقتادة وغيرهما : لما نزل (عليها تسعة عشر) قال ابو جهل لقريش : ثكلتكم امهاتكم ! أسمع ابن ابي كبشة ٤) يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر ، وانتم الدُّهم ٥) الشجعان ، فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ، ثم تخرجون من النار ؟! فنزل قوله تعالى :

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً

قضى الله ان يكون خزنة جهنم من جنس الملائكة ، فلا مجال لمحاولة مغالبتهم ، ولا امل للمعذبين في الافلات من قهرهم وسلطانهم ، اذ هم أشد خلق الله بأسا ، وأقواهم بطشا ، وهم أقوم خلق الله بحق الله •

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وما جعلهم الله بهذا العدد الا ابتلاء واختبارا للذين لا يؤمنون بصدق حديث الله ، ولا يذعنون لوحيه ، وابو جهل في مقدمة الجاحدين المستكبرين

---

١ ـ القاسط : الجائر لانه عادل عن الحق ، وأما المقسط فهو العادل المتجه الى الحق • وقسط بمعنى جار ، وأقسط : يعني عدل ومنه قوله تعالى : (•• فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) سورة المائدة من الاية ٤٢ •

٢ ـ سورة الجن ، الايتان ١٤ ، ١٥ • ٣ ـ سورة الاحقاف • الاية ٣١ •

٤ ـ كانوا ـ عليهم اللعنة ـ يسمون النبي بذلك استهزاء به ٥ ـ الدهم : الكثير •

عن الحق ، ولهذا جاءه الوعيد والتهديد : (فليدع ناديه سندع الزبانية) ١)

وقيل : (فتنة) اي عذابا ، كما في قوله تعالى : (يوم هم على النار يفتنون • ذوقوا فتنتكم ••) ٢) •أي جعلهم الله بهذا العدد ـ وإن كانقادرا على مسخ المجرمين على مكانتهم فلا يستطيعون مضيا ولا حراكا ، قادرا كذلك على أن يقيم عليهم خزنة بعدد المعذبين فما يعلم جنود ربنا وعددهم إلا ربنا سبحانه ـ فكان جعلهم كذلك من اسباب كفر الكافرين ، ومن اسباب عذابهم •

لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ

ليوقن الذين أعطوا التوراة والإنجيل ورسخ يقينهم أن ما علّم الله خاتم النبيين محمدا من عدة خزنة جهنم موافق لما عندهم ،ولما نزلفيكتبهم•

وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ

لأنه كلما نزل من القران شيء فآمن به وصدقه أهل التوحيد واليقين ازدادوا إيمانا على إيمانهم •

وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ

ولا يشك من صدقوا بالكتب السماوية السابقة ، ولا اهل التصديق من أتباع محمد ـ صلى اللهعليه وسلم ـ في أن عددخزنة جهنمتسعةعشرملكا •

وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ

هذا الامتحان بتحديد عدة خزنة النار ربح فيه أهل الايمان فازدادوا هدى ، وخسر أهل الشك والشرك ، والجحود والضلال فازدادوا زيغا •
وهذا شأن القرآن وأثره كما بين الله موحيه : (•• قل هو للذين

---

١ ـ سورة العلق • الايتان : ١٧ ، ١٨ • ٢ ـ سورة الذاريات • الاية ١٣ ومن الاية ١٤ •

آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ٠٠)١)
(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) ٢) ٠

والذين في قلوبهم مرض : قد يراد بهم اهل النفاق بالمدينة ، نقل هذا عن أكثر المفسرين ٠ لكن ربما يرد هذا القول أن الآية مكية ، ولم يكن بمكة نفاق ، ولهذا ذهب جماعة إلى أن المرض هنا بمعنى الشك والارتياب ٠
(ماذا اراد الله بهذا مثلا) أي شيء أريد بذكر هذا العدد وحديثه ؟٠

قال الليث : المثل : الحديث ، ومنه : (مثل الجنة التي وعد المتقون ٠٠)٣) اي حديثها والخبر عنها ٠

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ

كاضلال الله ابا جهل واصحابه المنكرين لقوة خزنة النار وعدتهم يضل الله ويخزي ويعمي من أراد ، كما قال سبحانه : (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ٠٠) ٤) ٠

وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ج

ويرشد من يشاء كإرشاد النبي وأصحابه والذين اتبعوه ٠
وقيل : كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ، ويرشد ويهدي إليهامن يشاء ٠

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ج

الله وحده هو العالم بعدد ملائكته ٥) ، والجند الذين لا يخالفون عن أمره : (ولله جنود السموات والارض ٠٠) ٦) وفيهم من أعدّهم سبحانه لتعذيب أهل النار ٠

---

١ ـ سورة فصلت ٠ من الاية ٤٤ ٠ ٢ ـ سورة الاسراء ٠ الاية ٨٢ ٠
٣ ـ سورة الرعد ٠ من الاية ٣٥ ٠ ٤ ـ سورة التوبة ٠ من الاية ١٢٥ ٠
٥ ـ روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم: « اطت السماء وحق لها ان تئط ،ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا » ٠ ورواية احمد : « ليس فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك لله ساجد او راكع ٠٠ » ٠
٦ ـ سورة الفتح ٠ من الاية ٧ ٠

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

ما هذه العدة الا ذكرى للبشر ليتذكروا كمال قدرة الله تعالى ، وأنه لا يحتاج إلى اعوان وأنصار ، وما الجنود إلا عظة ٠

وقال الزجاج : نار الدنيا تذكرة لنار الاخرة ٠

وقيل : وما هذه النار التي هي سقر الا موعظة للخلق ٠

ومال القرطبي الى ان المراد : الدلائل والحجج والقرآن ذكرى للناس٠

من سورة القيامة

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

ينضر الله تعالى وجوه المتقين يوم القيامة (٠٠ ولقاهم نضرة وسرورا) ١) ٠ (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) ٢) (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) ٣) (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ٠ الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) ٤) ٠فالبشر باد على وجوههم،والرضا ملءقلوبهم٠

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

ترى ربنا العلي الأعلى ٠

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة ٠

فعن ابي سعيد وأبي هريرة أن ناسا قالوا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب » ؟ قالوا : لا ٠ قال : « إنكم ترون ربكم كذلك » رواه الشيخان ٠

وفي رواية لهما : « هل تمارون ٠٠ » ؟ ٠

وفي الصحيحين كذلك عن جرير قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا» ٠

---

١ ـ سورة الانسان ٠ من الاية ١١ ٠ ٢ ـ سورة المطففين ٠ الاية ٢٤ ٠

٣ ـ سورة الغاشية ٠ الايتان : ٨ ، ٩ ٠ ٤ ـ سورة فاطر ٠ الايتان : ٣٤ ، ٣٥ ٠

وللبخاري في صحيحه : « إنكم سترون ربكم عيانا » . إلى كثير من الصحاح .

يقول الحافظ ابن كثير : وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهداة الأنام ، ومن تأول ذلك [بالى] مفرد الآلاء وهي النعم .. فقد ابعد النجعة ، وأبطل فيما ذهب اليه ، واين هو من قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ١) .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجارإلا وقدعلم أن الابرار يرونه عز وجل ، ثم قد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة).اهـ

من سورة الانسان

وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

جزى الله المؤمنين الموحدين لقاء صبرهم مساكن طيبة في جنات عدن، وكساهم فيها الحلل البهية والأردية الحريرية .

ومن هنا يتبين العقلاء منزلة الصبر وأجر الصابرين ، كيف لا وقد بشرهم الحق جل علاه بفيض فضله : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) ٢) . والبشرى للصابرين على طاعة الله ،والصابرين عن معصية الله يحبسون انفسهم ان تلم بالسيئات – وللصابرين على ما يقضي به الله ، والصابرين عند لقاء اعداء الله ، كما اشار كتاب الله : (.. والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ٣) .

روى الحافظ ابن عساكر .. ان سليمان الداراني قرئت عليه سورة (هل اتى على الإنسان) فلما بلغ القارىء الى قوله تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال : بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ، ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهـــوة واسير	أفّ من مشتهى خلاف الجميل
شهوات الانسان تورثه الذل	وتلقيه في البـــلاء الطـــويل

---

١ – سورة المطففين . الاية ١٥ .   ٢ – سورة البقرة . الاية ١٥٧ .

٣ – سورة البقرة . من الاية ١٧٧ . والبأساء : المصيبة في الابدان ، والضراء : المصيبة في الاموال . والبأس : الحرب .

وقد ذكرنا ما رواه الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ عن حذيفة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولاتشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » .

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

أهل الجنة في مجالسهم مرفهون ، فمقاعدهم سرر فوقها حجال، فرش وحشايا ، يستلقون عليها أويتمرفقون ـ يعتمدون على مرافقهم ـ أويتربعون .

لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

لا يجدون في الجنة قيظا لافحا ، ولا بردا مؤلما ١) .

قال قتادة : يعلم الله أن شدة الحر تؤذي ، وشدة القر تؤذي ،فوقاهم الله أذاهما . اهـ .

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا

تدنو وتقترب أغصان الجنة من أهل الصبر والتقوى ؛ والشجر الذي يملأ بساتينهم هناك تميل عليهم فروعه ، ويمتد فوقهم ظله ، مع ما يحمل من صنوف الفاكهة الوفيرة الدائمة : (وفاكهةكثيرة . لامقطوعة ولا ممنوعة)٢)

ونصب (دانية) : إما لعطفها على (متكئين) ، وإما للعطف على موضع قوله تعالى : (لا يرون فيها شمسا) .

وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

سخرت ثمارها وقربت ، وجردت مما يخالط الثمار عادة من نحوشوك أو ورق ، يقول الله عز شأنه : (.. وجنى الجنتين دان) ٣) .

ونقل عن الماوردي : ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها : أن تبرز لهممن أكمامها ، وتخلص لهم من نواها .

---

١ ـ أورد القرطبي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال : « ان هواء الجنة سجسج : لا حر ولا برد » .

٢ ـ سورة الواقعة . الايتان : ٣٢ ، ٣٣ .

٣ ـ سورة الرحمن . من الاية ٥٤ .

وعن مجاهد : إن قام أحد ارتفعت له ، وإن جلس تدلّت عليه ، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها • ويقال : المذلل : المسوى •

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ

بعد ان وصف القرآن مقامهم وكساءهم ، وتفكههم وغذاءهم ، بيّن شرابهم ، وأن خدمهم يطوفون ويدورون عليهم كلما اشتهوا شرابا •

جاء في [الجامع لاحكام القران] : قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الأسماء ، أي ما في الجنة أشرف وأعلى وانقى •ثم لم تنف الاواني الذهبية ، بل المعنى : يسقون في أواني الفضة ، وقد يسقون في أواني الذهب •• اهـ •

مما روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما •• » •

وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾

وكيزان لا أذان لها ولا عرى ، صافية صفاء القوارير الزجاجية ، شفافة تصف محتواها ، ويرى ما في باطنها من ظاهرها •

قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ

يقول ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا اعطيتم في الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة • وقال : لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء ، ولكن قوارير الجنة مثل الفضة [اي في بياضها] في صفاء القوارير •

قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

أعدت على قد رغبتهم ، عناية بتكريمهم وتشريفهم ، والسقاة يطوفون بها عليهم غير مترعة فتراق ، ولا ناقصة بل ملأى •

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾

ويشرب الأبرار خمر الجنة ممزوجا بالزنجبيل متى شاءوا · و(كان) ليست للدلالة على المضي ولكن ربما تعني : صار وتكوّن ·

نقل الحافظ ابن كثير عن قتادة وغيره : (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد،وتارة بالزنجبيل وهو حار·اهـ

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾

نصب (عينا) بنزع الخافض ، أي كأسا من عين في الجنة توصف بالسلاسة والعذوبة ·

يقول أبو جعفر محمد بن جرير : ·· قوله : (تسمى سلسبيلا) صفة للعين ، وصف بالسلاسة في الحلق وفي حال الجري ·· كما قال مجاهد وقتادة ، وانما عنى بقوله : (تسمى) توصف ، وانما قلت : ذلك أولى بالصواب ، لاجماع أهل التأويل على ان قوله:(سلسبيلا) صفة لااسم·اهـ

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

خدم الأبرار المقربين من الولدان الباقين على شبابهم وغضاضتهم وحسنهم ، لا يهرمون ولا يتغيرون ·

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾

ينبث هؤلاء الشباب ويتفرقون في جنبات دار النعيم ذاهبين آيبين في خفة وبهاء ، تحسبهم من حسنهم وصفاء ألوانهم لؤلؤا مفرقا فيما حولك من أرجاء ·

أورد القرطبي : واللؤلؤ اذا نثر كان أحسن منه منظوما · وقيل : إنما شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة ، بخلاف الحور العين إذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لأنهن لا يمتهنّ بالخدمة · اهـ ·

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

وحين تقلب بصرك في الجنة ترى هناك صنوف النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وترى الملك العظيم الـذي

أوتوه : فالملائكة تسلم عليهم ، ولله هناك مملكة عظيمة ورزق بغيرحساب٠

ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر اهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها : « ٠٠ إن لكمثلالدنيا وعشرة أمثالها٠٠»١)

عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ

كسوة أهل الجنة من السندس ـ النسحالحريري الدقيق ـ ذي اللون الاخضر ، وربما يكون هذا لثيابهم [الداخلية] الملاصقة لأجسادهم ، ومن الإستبرق وهو الحرير اللامع البراق السميك ، لعله يكونظاهرثيابهم٠

وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ

يحليهم ربهم بأساور فضية ، وذلك لا يمنع تحليتهم بالأساور الذهبية وغيرها ، وهذا كتاب الله ينطق بالحق:(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ٢) (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ٣) ٠

وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

ويسقى الله المؤمنين في الجنة شرابا طيبا مباركا ممتعا للابدانوالعقول

وذهب ابن كثير الى ان القرآن لما ذكر زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده : (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) اي طهر بواطنهم من الحسد والحقد ، والغل والأذى ، وسائر الاخلاق الرديئة ٠٠ فأخبر سبحانه بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن ٠ اهـ ٠

ونقل صاحب جامع البيان عن ابي قلابة : أن أهل الجنة اذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دعوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بذلك بطونهم ، ويكون ما أكلوا وشربوا رشحا وريح مسك ٠٠اهـ ٠

---

٢ ـ رواه الشيخان ، عن عبد الله بن مسعود ٠ ٣ ـ سورة الحج ٠ الاية ٢٣ ٠
٤ ـ سورة فاطر ٠ الاية ٣٣ ٠

في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون » قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : « جشاء ورشح كرشح المسك ٠٠ » ٠

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً

وتنعم أرواح المؤمنين فوق ما نعمـــــوا ، فينادون ان هذا الذي اعطيتموه هو ثوابكم على ما كنتم تعملون من الخير في الدنيا (٠٠ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) ١) (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) ٢) ٠

وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

حمد الله تعالى حسن صنيعكم ، وتجاوز عن زلاتكم (٠٠ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ٣) ومن فضله عز شأنه انه يتقبل القليل ويعطينا عليه الأجر الجميل والثواب الجزيل (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ٠٠) ٤) ٠

فاللهم تقبل عنا أحسن ما عملنا ٠

---

١ ـ سورة الاعراف ٠ من الاية ٤٣ ٠
٢ ـ سورة الحاقة ٠ الاية ٢٤ ٠
٣ ـ سورة النساء ٠ من الاية ٤٠ ٠
٤ ـ سورة الشورى ٠ من الاية ٢٦ ٠

ما تضمنه الفصل الرابع من أحاديث

رقم
الصحيفة

خـــاتمة

في الايمان بالصراط والشفاعة

ورد ذكر [صراط] في القرآن الكريم في ست وأربعين آية ١) ،لكن جمهور المفسرين من السلف والخلف لم يروا في اي منها ما يقطع بالدلالة على الصراط الذي ينصب في الاخرة يجتازه اهل الموقف في طريقهم الى مداخل الجنة وابوابها ، وربما يشير إليه قول الله تعالى :(وإن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا · ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ٢) وقوله سبحانه · (وإن الذين لا يؤمنون بالآخـــــرة عن الصراط لناكبون) ٣) عند من تأوله على أنه صراط الآخرة ·

لكن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق متعـددة إثبات هذا الجسر الذي يعبره الناس بعد حسابهم بغية الوصول إلى دار الخلد والكرامة ·

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ومنه : « ·· ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز ٤) من الرسل بأمته ·· » ·

ومما في الصحيحين كذلك عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ·· ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحـــل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم » قيل : يا رسول الله : وما الجسر؟ قال : « دحض ٥) مزلة ٦) فيها خطاطيف ٧) وكلاليب وحســـكة ٨) مفلطحة ٩) لها شوكة عقيفاء١٠) تكون بنجد يقال لها السعدان · المؤمن

---

١ ـ ثنتان في كل من الفاتحة والبقرة وال عمران والنساء واية في المائدة ، وخمس في الانعام ، وايتان في الاعراف واية في كل من يونس وهود وابراهيم والحجر ، وايتان في النحل ، وايتان في مريم ، واية في طه ، وايتان في كل من الحج والمؤمنون ، واية في كل من النور وسبأ ، وثلاث في يس وثنتان في الصافات واية في ص وايتان في الشورى وثلاث في الزخرف وايتان في الفتح واية في الملك ·

٢ ـ سورة مريم · الايتان : ٧١ ، ٧٢ ·   ٣ ـ سورة المؤمنون ، الاية ٧٤ ·

٤ ـ يجوز : يعبر ويجتاز ويمر ·   ٥ ـ زلق · وروى : مدحضة ·   ٦ ـ تزل فيها الاقدام

٧ ـ خطاطيف : جمع خطاف · حديدة معوجة كالكلوب يختطف بها الشيء ·

٨ ـ نبات مغروس ذو شوك ينشبك في كل من يمر به ·

٩ ـ فيها عرض واتساع ، واسعة الاعلى دقيقة الاسفل ·

١٠ ـ عقيفاء : معوجة ، والسعدان : نبات له ثمر يلزق بأصواف الغنم ·

عليها كالطرف ١) وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل ٢) والركاب ٣) ، فناج مُسلّم ، وناج مخدوش ٤) ، ومكدوس في نار جهنم ٥) ٠٠ » ٠

ومادة شفع وما تصرف منها ذكرت في خمس وعشرين اية ، منها خمس تصلح للاستشهاد بها : (٠٠ من ذا الذي يشفع عنده إلاباإذنه٠٠)٦) (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا) ٧) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٠٠) ٨) (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٠٠) ٩) (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق ٠٠) ١٠) ٠

وكذا قوله تعالى : (٠٠ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) ١١) حيث ذهب صاحب الجامع لاحكام القران الى ان اصح الاقوال في المقام المحمود : الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان ٠

واحاديث الشفاعة متوافرة متضافرة كثير منها متفق عليه ،وصحاح اخر اوردها غير الشيخين البخاري ومسلم ٠

وفي هذه الصحاح تصريح بعفو من الله تعالى وفضل اوردته بعض الاحاديث بلفظ « شفاعتي ».وفيها تبيان لشفاعة النبيين ـ واعظمها لمحمد خاتم المرسلين عليه وعليهم صلوات من الله وتسليم.وشفاعة للملائكة وشفاعة للمؤمنين ٠

ونعرض لبعض القول النبوي الصحيح في امر الشفاعة :

ففي عفو ربنا الغفور الشكور جاء في حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ٠٠ حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من أهل النار امر الله الملائكة ان يُخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرّم الله على النار ان تأكل اثر السجود٠٠» رواه البخاري ومسلم ٠

وحديث سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا أو سبعمائة الف » [لا يدري الراوي

---

١ ـ كالطرف : كلمح البصر ٢ ـ الفرس السابق الجيد يسمى جوادا واجاويد جمع الجمع
٣ ـ الركاب : الابل ٤ ـ ناج من النار بعد ان جرحه القيد ٠ ٥ ـ مصروع ومترد ٠
٦ ـ سورة البقرة ٠ من الاية ٢٢٥ ٠ ٧ ـ سورة طه ٠ الاية ١٠٩
٨ ـ سورة الانبياء ٠ من الاية ٢٨ ٠ ٩ ـ سورة سبأ ٠ من الاية ٢٣ ٠
١٠ ـ سورة الزخرف ٠ من الاية ٨٦ ٠ ١١ ـ سورة الاسراء ٠ من الاية ٧٩ ٠

ايهما قال] « متماسكون آخذ بعضهم بعضا ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » .

وفي حديث ابي سعيد الخدري : « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا ١) ، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة ، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل ٢) قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها الى الظل كان أبيض . فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة ، فيقول اهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدّموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » رواه الشيخان .

ولمسلم عن ابي سعيد بلفظ : « .. فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار ٣) فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، قدعادوا حمما ..» ٤)

وهكذا شهدت الاحاديث التي اوردت بشفاعة وعفو المهيمن البر الرحيم ، وبشفاعة الملائكة والنبيين . وجمهور السلف والخلف على أن الشفاعة العامة اختص الله تعالى بها محمدا خاتم المرسلين ، والخاصة لإخراج المذنبين من النار يشفع فيها الأنبياء والعلماء والشهداء والمؤمنون .

روى البخاري ومسلم عن انس بن مالك قال : قال رسولّ الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ! فيأتون ادم فيقولون : انت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربنا فيقول : لست هناكم ٥) . ويذكر خطيئته ، ويقول : ائتوا نوحا ، أول رسول بعثه الله . فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا ، فيأتونه فيقول لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، ائتوا موسى الذي كلمه الله ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ،فيذكر خطيئته ، ائتوا عيسى ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتوني ،فأستأذن

---

١ – امتحشوا : احترقوا .
٢ – ما يحمله السيل من طين ونحوه .
٣ – يعني من أهل النار .
٤ – حمما : فحما ، محترقين .
٥ – لست في المكان والمنزل الذي تحسبونني ، يريد به مقام الشفاعة .

على ربي ، فاذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ، ثم اشفع فيحد لي حدا ، ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة والرابعة حتى ما يبقى في النار الا من حبسه القرآن » .

ومما جاء في رواية ثانية : « .. فأقول : يا رب ! امتي امتي ! فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ... فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم اعود ... فيقال: أنطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل . ثم أعود الرابعة .. فأقول يا رب ! ائذن لي فيمن قال لا إله الا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا إله الا الله » ١) .

ولهما من حديث ابي هريرة : « يجمع الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ... فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى انت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، وكلّمت الناس في المهد صبيا ، اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله،ولم يذكرذنبا ، نفسي!نفسي!نفسي! اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم ... فأقول : « أمتي يا رب ! امتي يا رب ! فيقال يامحمد! أدخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب » ثم قال : « والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر ٢) ، او كما بين مكة وبصرى » .

وللشيخين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل نبي سأل سؤالا » او قال : « لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه

١ ــ متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان . حديث رقم ١١٩ . الجزء الاول .

٢ ــ حمير : صنعاء . لانها كانت حاضرة قبيلة حمير .

وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محدودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » ٠

وأما عن شفاعة المؤمنين ، فمما جاء في الصحيحين عن ابي سعيد : « ٠٠ فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ٠ فاذا رأوا أنهم قد نجوا وبقي اخوانهم ، يقولون : ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار الى قدمه والى أنصاف ساقيه ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ٠ فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ٠ فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فاخرجوه ، فيخرجون من عرفوا » ٠

ورواية مسلم : « ٠٠ حتى اذا خلص المؤمنون من النارفوالذي نفسي بيده ما من احد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ٠٠٠ ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا ٠٠ » ٠

وبعد : فمن اراد الوصول الى رضوان الله والدخول في رحمته وجنته فليشهد أن الله حق ، وأن ملائكته حقّ ، وأن كتبه حق ، وان رسله حق ، وان لقاءه حق ، وان ثوابه حق ٠ وليستقم على أمره في مضاء وعزم مستجيبا لندائه : (ففرّوا الى الله ٠٠) راجيا رحمته متوقيا سخطه وعذابه ، والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت في غير تواكل ولا يأس

وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلا تناء

(٠٠ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به ٠٠)٠

واليقين في الحساب والجزاء والعقاب اساس لكل هدى وتقى (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) ٠

والتصديق بما جاءنا عن ربنا ، والاستمساك بإسلامنا منجاة لنا في أولانا وفي آخرتنا (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) ٠

ما تضمنته الخاتمة من أحاديث متفق عليها

مجمل المحتويات

صفحة